

لِقَاءِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ
بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
(٦٢)

الكَلِمَاتُ الْبَيِّنَاتُ

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى

وَلَبِّشُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ

لِلْعَالَمَةِ مَرْعَىٰ مِنْ يُوسُفَ الْكَرِيمِ الْمُقَدَّسِ الْحَبِيبِ

توفي سنة ١٠٣٣ هـ
رحمه الله تعالى

محمد خير رمضان يوسف

أَسْرَمَ بِطَبْعِهِ بَعْضُ أَهْلِ الْمَيْرِ مِنَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَمُحِبِّهِمْ

بِإِذْنِ الشَّرِيفِ الْإِسْلَامِيِّ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

شركة دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

أسرًا الشيخ رزقي وشقيقه رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧

فاكس: ٧٠٤٩٦٣ / ٩٦١١١ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

مقدمة التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلَّهِ الذي هدانا للإسلام، ووفَّقنا للأعمالِ الصالحة. والصلاةُ والسلامُ على نبيِّ الرحمة محمد، وعلى آلِهِ وأصحابه الهداةِ الطيبين، ومن تبعهم بإحسانٍ من أُمَّته أجمعين. وبعد:

فلعلُّهُ لا توجدُ كلمةٌ أحلى من البشري. ولعلك لن تفقَ على معنى أجملَ من البشارة. وقد لا تجدُ لحظةً مشابهةً لانسراحِ الصدر، وابتهاجِ النفس، وتهلُّلِ الوجه، وقتَ وقوعِ البشري!

وقد تختلفُ البشارةُ ومدى وقعها في النفسِ من شخصٍ إلى آخر، حسبَ طبائعِ الناسِ واهتماماتهم، وحسبَ حاجاتهم وتوجُّهاتهم. ولكنها من المؤكِّدِ تختلفُ حسبَ طبقاتِ الناسِ من حولِ المرء. فهناك فرقٌ بين بشري الأب وبشري الابن، وفرقٌ بين بشري الأستاذِ وبشري التلميذ، وفرقٌ بين بشارَةِ سلطانٍ وبشارَةِ أحدِ الرعيَّة.

فهناك فارقٌ بين أن يهتَفَ لك ملكٌ أو رئيسٌ فيشُرِّكَ بمنصبٍ أو جاهٍ أو مالٍ لا تتوقعه، وبين بشري تلميذٍ يخبرُكَ بنجاحِ أحدِ أقرائك..

لكن أليس كلُّ هذا إلى زوالٍ؟ أليس من ورائه محنةٌ وحسابٌ لا تدري

مآله؟ وقد لا تصفو لك البشرى فيما يصاحبها - من بعد - من هموم الدنيا ونكدها.

أفأخبرك إذا بأجمل وأروع وأصفى وأهنا بشرى، لا تصاحبها شائبة، ولا يقارنها زوال، ولا تفرقها سعادة؟

إنها بشرى الحق سبحانه. بشاره منه عز شأنه وجلت قدرته. بشاره اللّه رب العالمين لعباده الأتقياء المؤمنين.

فكم يكون وزن هذه البشارة ما دامت من الخالق الحق، مقارنة بما ذكّر من بشارات الآخرين؟! من بشارات الآخرين؟!

لا شك أنها ستكون غالية ونفيسة ومهمة، بل وفي غاية الأهمية. فما هي؟

إنها بشاره من جنس ما يحلو للإنسان، ولا يتوقع أكبر ولا أفضل منها! إنها بشاره بالجنة، هذه التي يعمل المسلم ويدأب ليل نهار للفوز بها، ولا يدري أيطفر بها أم يكب على وجهه في النار؟!!

إنها بشرى لا تخص كل الناس، بل هي لطبقه معينة منهم، لمن آمن، وعمل صالحاً. نعم، الإيمان الصادق العميق، والعمل الصالح الموافق للدين، الخالص لوجه رب العالمين.

فبشرى لك أيها المؤمن، وألف بشرى وبشرى للفوز بجنات تجري تحتها الأنهار، وفيها من الأطعمة والثمار ما لا عهد لك بها سوى أسمائها. ولك فيها من الأزواج المطهرات ما تؤنسك وتزيد من نعيمك، طاهرات من قذارة الدنيا ونجاساتها.

وما الذي يريح الإنسان أكثر من المسكن الطيب المريح، والمطعم الهنيء المريء، والزوجة الجميلة الموافقة؟

لا! إن من وراء هذا خيراً كثيراً، ما حلم إنسان أن يحصل عليه في

الدنيا!

إنه الخلود! الخلود مع الهناءة والسرور والمتعة والجمال!

عند ذلك تصفو لك الحياة، وتعلم أن ما أنت فيه ليس حلماً، ولا هو مؤقت كما في الدنيا، بل هو جائزة لك من الله. وإذا كنت ضعيفاً في الدنيا ممتحناً في سلوكك، فأنت الآن صاحب ملك حقيقي واسع، جزاء من الله لك على عملك الصالح، بدون امتحان ولا حساب، معزز مكرم.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ ﴿٣١﴾ تَزُلَّ مِنْ عَفْوِ الرَّحِيمِ ﴿٣٢﴾ (١). إنه من عند ربك. أنت في الجنة. أنت على مائدة أكرم الأكرمين!

ولا يتوقع أهل الجنة سعادة أكبر من هذه، ولا حياة أهنأ منها!

وفي حديث شريف، وبينه الله تعالى في آية كريمة، أن الرب سبحانه يطلب من عباده أن يسألوه فلا يجدون المزيد، فيحل عليهم رضوانه! ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٧٦﴾ (٢).

وقد لا يستطيع القلم أن يعبر عن نفسية المرضي عنهم على الوجه الأمثل، فهي خاصة بحياة أنبياء الله وأوليائه. فلنوقف القلم عند هذا الحد، ولنذع الله سبحانه أن يجعلنا أهلاً لجنته، فهو الجواد الرحيم، والمحسن الكريم.

(١) سورة فصلت: الآيتان ٣١، ٣٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧٦.

وهذا الكتابُ شرحٌ لما أجملناه، تفسيراً لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوبُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٥) (١).

حيثُ بيَّنَ المؤلفُ وجوهَ تفسيرِ الآيةِ الكريمة: أثراً ورأياً، غريباً وإعراباً، قراءةً وتوجيهاً، عبرةً وإرشاداً.

واقراً معي قوله تعالى في آيةٍ مشابهة، فيها بشرى لعباده المؤمنين المجاهدين: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٢٦) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٧) (٢).

نعم .. إنه بشرى .. ونور .. وجنات .. وخلود ..

إنه باختصار: الفوز العظيم!

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَ يَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٧) (٣).

وما أبلغ وأعمق هذه البشرى من كلام ربِّنا الكريم، الذي لا مبدل لكلماته: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢٦) (٤).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥.

(٢) سورة التوبة: الآيات ٢٠ - ٢٢.

(٣) سورة الحديد: الآية ١٢.

(٤) سورة يونس: الآيات ٦٢ - ٦٤.

فهللاً دعوتَ ربِّك، بل وجعلتَهُ ورداً يومياً تقولُ فيه :
اللَّهُم اجعلني من أوليائك الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون،
واجعلني من عبادك المؤمنين المتقين، وأسألكَ البشري في الحياة الدنيا وفي
الآخرة، وأسألكَ الفوزَ العظيم .

* * *

والمخطوطةُ الأولى (أ) - التي اتخذتها أصلاً - نسخةٌ ثمينة نادرة،
على الرغم من أنها ليست بقلم المؤلف، لكنها بقلم عالم محدّث، هو
الشيخ عبد القادر بن مصطفى الصفوري الأصل، الدمشقي الشافعي،
المحقّق الكبير^(١). وقد نقلها من نسخة المؤلف. وكلاهما من القرن
الحادي عشر.

وإذا كان الناسخُ عالماً، وكان النقلُ من نسخة المؤلف، فإن القلبَ
يطمئنُّ إلى صحتها اطمئناناً ثابتاً إن شاء الله .

وهي من مقتنيات مكتبة برلين بألمانيا، وتقع في (٢١) ورقة، في كل
وجه (١٩) سطراً. كتبت بخط واضح معتنى به، ولا تكادُ تجد فيها خطأ!
ويبدو أنها ضمن مجموع، حيث رقت أوراقها من ٢٤ إلى ٤٤ .

وجاء في صفحة العنوان ما يلي: رسالة لطيفة تتضمن فوائد شريفة
وبشارات بخيرات حسان في منازل مخلدة منيفة، رأيت بخط مؤلفها

(١) قال فيه المحبّي: كان من أساطين أفاضل عصره، مشهور الذكر، بعيد الصيت،
اتفق أهل عصرنا على جلالته وعظم شأنه ودينه وورعه وصيانه وأمانته .
وكان فقيهاً مفسراً محدّثاً أصولياً نحويّاً، وعنده فنون كثيرة غيرها . وكان منقطعاً
عن الناس، كثير البلوى والأمراض . . . أعطي المدرسة البلخية ودار الحديث
الأشرفية فسكنهما ودرّس فيهما مدة حياته، وكان يدرّس بالجامع الأموي
فيحضره أعيان الطلبة الشافعية . . . ت ١٠٨١ هـ . خلاصة الأثر ٢/٤٦٧ .

تسميتها على ظهر أول صحيفة: الكلمات البينات^(١) في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾. ويليه نصيحة عظيمة صريحة للمصنف رحمه الله تعالى مقتبسة من أنوار السنة المحمدية الصحيحة. علقْتُ هذه النسخة لنفسي ولمن شاء الله تعالى بعد حلولي برمسي، راجياً من فضل ربي أن يكون بتلك البشارات في تيك الجنات الروضات مع هاتيك الأزواج أنسي. آمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وكتبه عبد القادر ابن المرحوم الشيخ مصطفى الصفوري المشهور بالفرضي، عفا اللُّهُ عنهما بمنه ورضي. آمين.

وجاء قول هذا الناسخ العالم في آخر المخطوطة: تمت على يد أفقر العباد: عبد القادر الصفوري عشية نهار الخميس المبارك...^(٢) شهر جمادى الآخرة سنة ست وستين وألف من الهجرة النبوية، وذلك في إحدى مدارس المرحوم السلطان سليمان بالقسطنطينية المحمية، صانَ الله سلطانها وأمدَّهُ بدوام التوفيق وأيدهُ بالعنايات الربانية الرحمانية، وأصلح الله أحوالَ وكلائه وأحوال سائر الرعية والمسلمين. ومن خط مؤلفها حسب ما رأيتُ مكتوباً في الأصل ما صورته: تمَّ بخط مؤلفه سنة ١٠٢٨. انتهى. والحمد لله وحده، وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى سائر النبيين والملائكة والعباد الصالحين. آمين.

(١) وليس «الكلمات السنيات» كما هو في (د) و (ظ)، وكما أورده الزركلي في ترجمته في الأعلام. وهو صحيح في إيضاح المكنون ٣٧٨/٢ وغيره، مثل «خلاصة الأثر» الذي هو أهم مصدر لترجمته. ولعل سبب الخطأ هو كتابة «البيانات» بدون نقط، أو تمطيها، فصحفت إلى «السنيات».

(٢) بياض بالأصل.

ثم قال رحمه الله: ثم رأيت بخط الأصل الذي نقلتُ منه الرسالة المتقدمة، وهي تأليف الشيخ مرعي الحنبلي المتقدم ذكره ما نصه^(١):
 قال المؤلفُ سامحهُ اللّهُ وعفا عنه أمين:
 قد أحببتُ أن أذكرَ هنا نصيحةً، عملاً بقولِ النبيِّ ﷺ:
 «الدين النصيحة. الدين النصيحة، الدين النصيحة». قالها ثلاثاً^(٢).

هذا وشرفُ الوزراءِ الكرام، وأربابِ المناصبِ الفخام، هو فعلُ الخيرات، وإجراءُ الصدقات، ونشرُ الإنصافِ والعدل، وإسباغُ النعماءِ والفضل، ونصرُ الحقِّ، ومعونَةُ المستحقِّ، والأخذُ بيدِ الضعيف، وإقامةُ الحقِّ على الشريف، وإسعافُ فقرِ العلماءٍ من لوازمِ الدينِ وشيمِ الملوكِ المرضيين، إذ هم حملةُ شريعةِ سيِّدِ المرسلين. فامشِ أيها الملكُ على أثرِ أقوالهم، وإذا سُئلتَ غداً فاجعلِ الحوالةَ على سؤالهم، وأقمِ حدودَ اللّهِ على الشريفِ كما تقامُ على المشروف، فلا معروفَ إلّا في التسويةِ بين أوامرِ المعروف.

واعملُ بوصيةِ مولانا عليِّ المرتضى لولديه الحسن والحسين عليهم من الله الرضا، حيث قال لهما عند موته: «قولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالمِ خصماً، وللمظلومِ أنصاراً، واعملا لله، ولا تأخذكما في اللّهِ لومةٌ لائم».

(١) قلت: ولم ألحق هذه النصيحة بالأصل لأنها ناقصة، واكتفيت بإيرادها في المقدمة للفائدة.

(٢) بتكريره ثلاث مرار رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النصيحة ٣٢٤/٤ رقم ١٩٢٦، وقال: حديث حسن صحيح. ولمرة واحدة رواه الشيخان، صحيح البخاري (تعليقاً)، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «الدين النصيحة» ٢٠/١، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أنه لا يدخل الجنة إلّا المؤمنون ٥٣/١.

فهي وصيةٌ جديرةٌ بأن تُتلقى بالقبولِ والتسليمِ ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (١).

واللَّهُ تعالى يجزي الحسنَةَ بعشرِ أمثالها، ولا يضيِّعُ لنفسٍ مثقالَ ذرةٍ من أعمالها. فعليكِ باتِّباعِ السيرةِ الحسنَةِ لتكونِ ممن سنَّ سُنَّةَ حَسَنَةً. ومن ذلك التَّبَصُّرُ في حالِ المظلومِ، وجَبْرُ قلبِهِ المكلومِ، فخيرُ سننِ الخيرِ ما بقيَ على الدوامِ مخلِّداً، وعُمِلَ به حتى يكونَ أجرُهُ على ترُدِّدِ الأيامِ مردِّداً. وارحَمْ من في الأرضِ يرحمَكَ من في السماءِ. وقابلِ المظلومَ بسوابغِ العدلِ والنعماءِ اغتناماً لدعائه، فإن دعاءَهُ مستجاب، ويرفَعُ اللَّهُ دعوتَهُ فوقِ الغمامِ والسحابِ.

وعليكِ بجبرِ قلبِ من قصدك، وبذلِ النوالِ لمن استرفدك، فما عُبدَ اللَّهُ بأفضلَ من جبرِ الخواطرِ، فاجعلْ ذلك دأبَكَ في الأولِ والآخِرِ، فحكمةُ اللَّهِ مطويَّةٌ فيما يأمرُ به على السنةِ رسله، وليست مما يستنبطه ذو العلمِ بعلمه، أو يستدلُّ عليه ذو العقلِ بعقله. ولم يأتِ نَبأُ الله إلا ليعبَدَ له الدين، قائماً على أصوله، صادعاً بحكمِ اللَّهِ تعالى وحكمِ رسوله. ومن حكمه أن الشريفَ والمشروفَ في الحقِّ سواء، ولا عبرةَ باتِّباعِ الأغراضِ والهوى. والضعيفُ في بابِ الإحسانِ أولى بالمرعاةِ من أربابِ الدنيا والجاهِ.

هذا، وقد صارَ طالبُ العلمِ، والمتوسِّعُ بوشاحِ الفضلِ والحلمِ، والمنتظمُ في عقدِ الشريعةِ وشرطه، والمتسقُ في سلكِ الخيرِ وسمطه، لا قيمةَ له ولا مقدار، ولا يُعبأ به بين أهلِ هذه الدارِ (٢).

(١) سورة فصلت: الآية ٣٥.

(٢) هنا تنتهي الوصية في المخطوطة. تليها فائدة، وهي رقية لعسر البول، لا علاقة لها بالوصية.

والنسخة الثانية (ظ) من مقتنيات المكتبة الظاهرية بدمشق، ورد عنوانها «الكلمات السنيات في قوله تعالى: ﴿وَيَسِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾». وتحت العنوان دعاء طويل، هو «الدعاء باسم الله الأعظم...» كما يبدو في التصوير. ولم يظهر لي اسمُ ناسخها ولا تاريخ النسخ، ويبدو أنهما يكمنان في أول المجموع أو آخره، حيث إن هذا المخطوط جاء ضمن مجموع من (١٤٥ - ١٥٩) أي في (١٥) ورقة، في كلِّ ورقة (٢٣) سطراً.

والنسخة الأخيرة (د) من مقتنيات دار الكتب المصرية، وورد عنوانها: «الكلمات السنيات في آية: ﴿وَيَسِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾». وناسخها أحمد بن عوض المقدسي الحنبلي، كتبها سنة ١١١٨هـ، وفي آخر النسخة ما يفيد أن المؤلف فرغ منها بالجامع الأزهر سنة ١٠٢٤هـ، وأن النص منقول من خطه. وتقع في (٧) ورقات، في كل ورقة (٢٥) سطراً، وهي الأخرى ضمن مجموع، سابقتها ولاحقها بخط الناسخ نفسه.

وفي هذه النسخة سقط كثير متعمد، مع استدراكات عديدة في بعض الصفحات، فهي إما تجارية مزيفة، أو أن الناسخ اختصرها لنفسه، ولكنه لم يشر إلى ذلك! فقد تخطى جُملاً وفقراتٍ كثيرة بلغت نصف الكتاب، ويلاحظ أنه جاء في (٧) ورقات، بينما الأولى في (٢٧) ورقة، والثانية في (١٥) ورقة. وقد قارنت عدة صفحات بهذه النسخة ثم استبعدتها، ولم ألتفت إليها إلا عند التحقق من كلمة مختلف فيها.

ولم أشر إلى اختلافات النسخ إلا لفائدة أو ضرورة.

وجزى الله خيراً أخي الشيخ محمد بن ناصر العجمي الذي حصّل النسختين الأخيرتين.

هذا، وقد ناب عني إخوة في مقارنة النسخة المعتمدة أصلاً بما سبق

أن نسخته منها وُصِّفَتْ، وذلك في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك من عام ١٤٢٤هـ بالمسجد الحرام، كما ذكر ذلك في آخر الكتاب؛ لينتظم في سلسلة كتب «لقاء العشر الأواخر»، فجزاهم الله خير الجزاء.

* * *

والمؤلف: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي، نسبةً لطور كرم بفلسطين التي ولد فيها، وانتقل إلى القدس، ثم إلى القاهرة، فكان أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر. إمامٌ محدِّثٌ فقيه، ذو اطلاعٍ واسعٍ على نقولِ الفقهِ ودقائقِ الحديث، ومعرفةٍ جيدةٍ بالعلومِ المتداولة.

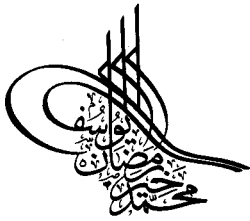
تصدَّرَ للإقراءِ والتدريسِ بجامع الأزهر، ثم تولى المشيخة بجامع السلطان حسن. وكان منهمكاً على العلوم انهماكاً كلياً، فقطعَ زمانه بالإفتاءِ والتدريس، والتحقيق والتصنيف، فسارت بتأليفه الركبان، التي بلغت أكثر من سبعين كتاباً! ومات بمصر في ربيع الأول سنة ١٠٣٣هـ^(١).

اللَّهُمَّ لا تحرمنا فضلك. وتجاوز عنا بعفوك وكرمك.

اللَّهُمَّ إنا نسألك الجنة وما قرَّبَ إليها من قولٍ أو عملٍ، ونعوذُ بك من النارِ وما قرَّبَ إليها من قولٍ أو عملٍ.

اللَّهُمَّ اجعلنا ممن بشرتهُ بالجنة.

اللَّهُمَّ إنا نسألك الفردوسَ الأعلى، مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً.



٢٠ / ١٠ / ١٤٢٤هـ

(١) خلاصة الأثر ٤/٣٥٨ - ٣٦١، ديوان الإسلام ٤/١١٠ رقم ١٨٠٧، هدية العارفين ٢/٤٢٦، الأعلام ٧/٢٠٣، معجم المؤلفين ١٢/٢١٨.

نماذج صور
من النسخ المعتمدة في التحقيق

الكلمات النبيات وقوله تعالى وبشر الذين
امنوا وعملوا الصالحات ان
لهم جنات

الذيما باسم الله العظيم وهو الامم اللهم اني استسقي يا حي يا قيوم هو الله لا اله الا هو لا شريك
لله اني استسقي بان لك الحمد لا اله الا انت يا حي يا قاضي الحاجات يا من يدع السموات والارض يا حي يا قيوم
يا رحمن يا رحيم الاحد الصمد يا ذا الجلال والاکرام يا ارحم الراحمين لا اله الا انت سبحانك يا وهاب
يا خير المورثين حسنت الله وبلغ الوكيل يا غفار يا قريب يا كريم يا جامع الدماء طهيع يا عليم يا ودود يا فعال
يا يوريد يا اذون يا حي اعيان يا سميع يا سميع يا سميع يا سميع يا سميع يا سميع يا سميع يا سميع يا سميع يا سميع يا سميع يا سميع
يا لك انت الله العاصم الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد اللهم فاستسقي الاعلى الاعز
الاجل الاكرم اللهم اني استسقي بان لك الحمد لا اله الا انت يا من يدع السموات والارض يا ذا الجلال والاکرام
يا حي يا قيوم اللهم اني استسقي بان لك الحمد لا اله الا انت يا من علنت منها وما لم اعلم وباسمك العظيم الاعظم وبيدك
الكبر الاكبر رب العالمين اللهم اني استسقي بان لك الحمد لا اله الا انت وصوتك لا شريك لك انت المنان
بيدك السموات والارض والجلال والاکرام اللهم انت انت الله لا اله الا انت يا ذا الجلال والاکرام يا ذا الجلال والاکرام
استدعيهم الله العاصم الاحد الصمد وما انزلت في قبلك الفطرا فجعلها من افوز فورا
وعجزها ولقد ان تصل على محمد وان تغفر في حقيقته وتقبل توبتي يا ارحم الراحمين
يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاکرام يا بديع السموات والارض يا من ليس لك من عند
بديع الا لله اللهم سميت اجنتك على كل سوسجيب الاعتذار يا غافر يا غافر يا غافر
الغفر يا صادق الوعد يا مؤفيا بالعهود يا حي لا اله الا انت اللهم اني استسقي الخزون
الكثير من الملائكة الطاهر العظام المقدس

ورقة العنوان من النسخة الظاهرية (ظ)

الكافر متناهيته ومقابلته الجزم المشايي بحجاب ما لا يفأ به له ظلم وهو على
 الله تعالى محال تأليهما ان ضرر العقاب خال من النفع فيكون قبلي لان
 ذلك النفع لا يرجع الى الله تعالى لبعاليه عن النفع والفوز الى العبد لانه
 ضرر محض ولا الى اهل الجنة لانهم مشغولون بملذاتهم فلا فائدة لهم في الاثنا
 بعقابهم في حق غيرهم من القلوب الرصيدة سألهم بذلك غاية الظلم كما هو متناهي
 هدى وقد بينت بينهم والرد عليهم في مولف لطيف وسعيدة توقفت
 الفريضة على خلود اهل الدارين وايضا لان اهل الجنة لو علموا بالزوال وكانوا
 في استدعويته واهل النار لو علموا بالبقاء كانوا في استدعائه فيضير الثواب
 عقابا والعقاب ثوابا خاتما خرج البخاري ومسلم عن ابي عبد رضى
 الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الموت يوم القيامة
 كما تكبش الملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة هل تعرفون هذا
 فيشرهون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت فيومر به فيذبح ثم
 يقال يا اهل الجنة خلود ولا موت فبا ويا اهل النار خلود ولا موت
 فيأثم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم يوم الحشر اذ قفي الابر
 وهم في غفلة وهم لا يسمعون والشارب الى الدنيا وفي لفظ البخاري وهم
 في غفلة وما ولا غفلة اهل الدنيا وهم لا يسمعون تغلا الله ان جعلنا
 من المؤمنين الاامين الموقنين عينة وكرمه امين وصلى الله على سيدنا
 محمد وعلى آله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين
 قوله فيشرهون بفتح اوله وتكون المعجزة وفتح الواجدة تحتية مهموزة ثم هو
 حله مشددة اي مدون اضافة هم ويرفعون رؤسهم للنظر وروي الحارثي
 من ماجه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الموت
 في هيئة كبش الملح فيوقف على النار فيقال يا اهل الجنة فيطلعون خائفين
 وجلبين يخافون ان يحرقوا ما هم فيه فيقال هل تعرفون هذا فيقولون
 نعم هذا الموت فيقال يا اهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين ان يحرق
 هو اتمامهم فيصفا قال تعرفون هذا فيقول نعم هذا الموت فيومر به
 فيذبح على الانظار ويقال للموقنين خلود فيما جردك لا موت فيما ابد
 والا حاديت في هذا الكبر

والسلام على سيدنا محمد وعلي آلِهِ واصحابه ائمه الوصل والبر
وكان الغزاق من كتابته من خط مولانا محمد علي بن محمد الجفري

في نصف شعبان المعظم
ملي يوم الفجر احد

ابن عوض بن محمد

المخضبي القدي

سنة ١١١١

وهنا يدعي

سيدنا محمد

وعلي آلِهِ وصحبه

وسلم تسليمًا

بلغة مغالبة
على خط مولانا محمد
ان شاء الله

الكلمات السنيّة في آية وحشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات

تصنيف العبد الفقير إلى الله سبحانه

مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي

تفعا لله بركة

في الدنيا والآخرة

امين

تأليفه في شهر رجب سنة ١١١١
قاله العبد الفقير إلى الله سبحانه مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي

أول نسخة دار الكتب المصرية (د)

رب لفظ البخاري وهم في غفلة وهو لا في غفلة اهل الدنيا وهم
 لا يؤمنون بها كما سجانه ان يجعلنا من المؤمنين ٧٠ سنين
 الموقنين بمنه امين و صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم
 قال مولفه رحمه الله رحمة واسعة

الخير مري الخليل المقدس
 فرغت من وضع هذه

الفوائد الخريج

بالمجامع ٧١ زهر

اسنة اربع وستين

والقاه من ضفة

نقله

٣
 شجرة

وكان الزايع من كتابها ٧٢ احدثه شيخنا المعظم قدوة

سنة ثمانية عشر ومايزوالن وختمت بالخبر الوف

وتلقة لنفسه ولمن شاء الله تعالى بعد حلوله في امسه

فقبره رحمة ربه واسير وصحة ذنبه الفقير المذنب

الواثق بربه العلي جد بن موسى المقدس الخليل

غزاله ذنوبه وستر عيوبه وشفاه من ذنوب

العيوب وسقاه من ذنوب العيوب

بمنه وبمنه وحامه

وكرمته امين

توصلا لله على سيدنا

محمد وعليه وآله وصحبه

تسليم الكبر

فان
 انما يكون من اهلها
 ما لا يشاء بها من غير
 ما وضعه الله في خلقه
 لا في بدخول الماء وان لا
 في الماء سلكه وحده
 زدك من انواع الادر

آخر نسخة دار الكتب المصرية (د)

لِقَاءُ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ
بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
(٦٢)

الكَلِمَاتُ الْبَيِّنَاتُ

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ

لِلْعَالَمَةِ مَرْعَىٰ مِنْ يُوسُفَ الْكَرِيمِ الْمَقْدِسِ الْحَبَشِيِّ

توفي سنة ١٠٣٣ هـ
رحمه الله تعالى

محمد خير رمضان يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال العبدُ الفقيرُ إلى اللَّهِ تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي :
حمداً لك اللهم بديع السماوات، وشكراً لك على ما أوليت وواليت من
المسرّات والبشارات. ألسّت القائل في تنزيل كتابك المقدّس (١):
﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾؟ سبحانك! لا نحصي
ثناءً عليك، أنت كما أثبتت على نفسك، لا علم لنا إلا ما علمتنا، تعلم
ما مضى وما هوآت.

وصلاةً وسلاماً على عبدك المرتضى، ورسولك المجتبى، ونبيك
المصطفى خير البريات، وعلى آله وأصحابه أولي الفضائل
والكرامات.

[أما بعد، فهذه فوائدُ مشرقات، وفرائدُ متفرّقات، بعد التفرُّق
مجتمعات، في الكلام على قول ربّ السماوات: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾، [بحسّن عبارات، ورمز إشارات، يُلدُّ
بمعانيها، ويظفرُ بما فيها مُوافيها] (٢)، جنحتُ في الكلام على ذلك
لمجرّد الظاهر، إذ لكلّ آية من المعاني ما تضيّق به الدفاتر، [فإن كلام الله
كلامٌ معجزٌ أنيق، وبحرٌ عميق، لا نهايةً لأسراره وعلومه، ولا غايةً

(١) في (ظ)، (ك): تنزيلك المقدس.

(٢) ما بين المعقوفين من (د) فقط.

لمنطوقه ومفهومه، ولا إدراك لحقائق معانيه، ولا وصول لتركيب مبانيه^(١)[^(٢)].

قال بعض العلماء: إن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف كجبل قاف^(٣)، تحت كل حرف معانٍ لا يحيطُ بها إلا اللُّهُ تعالى^(٤)!

ولذلك قال الإمام عليّ كرم الله وجهه: لو شئتُ لأوقرتُ سبعين بغيراً من تفسير فاتحة الكتاب^(٥)!

وقال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، وما بقي من فهمها أكثر^(٦)!

وقال آخرون: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، ثم يتضاعف ذلك أربعاً^(٧)!

وفي الإحياء للغزالي: من زعم أنه لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه، وهو مصيب في الإخبار عن نفسه، مخطيء في الحكم برد كافة الخلق إلى درجته التي هي حده ومحطه، بل الأخبار والآثار تدل على أن في القرآن متسعاً لأرباب الفهم، ففيه رموز وإشارات، ومعانٍ وعبارات، وتلويح ودلالات،

(١) ما بين المعقوفتين من (د) فقط.

(٢) من قوله: «أما بعد» حتى هنا لم يرد في (أ).

(٣) في الأصل: ق. وهو جبل وهمي يحيط بالأرض. وذكر القاسمي في تفسيره ٤١١٥/١١ أن العرب يعنون به جبال القوقاز.

(٤) إحياء علوم الدين ٤١٩/١. وفيه «بعض العارفين» وليس «بعض العلماء».

(٥) المصدر السابق ٤٣٢/١.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق باختصار.

يختصُّ بدركها أهلُ الفهمِ من ذوي العنايات^(١).

فنقولُ في الكلامِ على هذه الآيةِ [بحسب الظاهر]^(٢)، ونحن بالعجز
والتقصيرِ معترفون، ومن بحرِ كرمِ اللّهِ مغترفون: قال اللّهُ سبحانه وتعالى:
﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ
مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣).



(١) المصدر السابق باختصار وتصرف.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في (أ).

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥.

مقدمة

في مناسبة هذه الآية لما قبلها

اعلم - أيدك الله تعالى - أن الله سبحانه^(١) مدح المؤمنين من أول
السورة إلى قوله: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

وذمَّ الكافرين في آيتين، أولهما: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله:
﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣).

ثم ذمَّ المنافقين في ثلاث عشرة آية، أولها: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا
بِاللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿يَنَاطِيئُهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(٤).

ثم لما مدح المؤمنين، وذمَّ الكافرين والمنافقين، كأنه قيل: هذا
المدح والذم لا يستقيمان إلا بتقديم الدلائل على إثبات التوحيد والنبوة
والمعاد. فإن أصول الإسلام هي هذه الثلاثة؛ فلهذا السبب بين تعالى هذه
الأصول بالدلائل القاطعة.

(١) في (ظ): مقدمة: اعلم وفقك الله تعالى أن مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أن الله سبحانه...

(٢) سورة البقرة: الآيات ١ - ٥.

(٣) سورة البقرة: الآيات ٦، ٧.

(٤) سورة البقرة: الآيات ٨ - ٢١.

فبدأ أولاً بإثباتِ الصانعِ وتوحيده، وبيّن ذلك بخمسةِ أنواعٍ من الدلائل:

أولها: أنه استدلَّ على التوحيدِ بأنفسهم، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾^(١).

ثانيها: بأحوالِ آبائهم وأجدادهم، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٢).

ثالثها: بأحوالِ أهلِ الأرض، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^(٣).

رابعها: بأحوالِ أهلِ السماء، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾.
خامسها: بالأحوالِ الحادثةِ المتعلقةِ بالسماءِ والأرض، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾. فإن السماءَ كالأبِ والأرضَ كالأم، تنزلُ قطرةً من صلبِ السماءِ إلى رَحِمِ الأرض، فيتولّدُ منها أنواعُ النبات.

ولمّا ذكرَ تعالى هذه الدلائلَ الخمسةَ رتّبَ المطلوبَ عليها فقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

فهو مشتملٌ على إثباتِ الإله، وعلى إثباتِ كونه واحداً؛ لأن تلكَ حوادث، وكلُّ حادثٍ لا بدّ له من مُحدث، وذلك دليلٌ على وجودِ الصانع^(٥)، لأنها حدثت لا على وجهِ الخللِ والفساد، وذلك دليلٌ على

(١) سورة البقرة: الآية ٢١.

(٢) جزء من الآية السابقة.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢.

(٤) هذه وما سبق تابع للآية ٢٢ من سورة البقرة.

(٥) لم ترد هذه الجملة في (ظ).

وحدة الصانع: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١).

ثم هنا لطيفة أخرى مرعية في هذه الآية، وهي: أن الترتيب الحسن المفيد في هذه الآية في التعليم من الأظهر فالأظهر، نازلاً إلى الأخفى فالأخفى في الدلائل^(٢)؛ لأنه تعالى قال: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾. فجعل استدلال كل عاقل بنفسه مقدماً على جميع الاستدلالات؛ لأن اطلاع كل أحد على أحوال نفسه أتم من اطلاع على أحوال غيره، فيجد بالضرورة من نفسه أنه تارة يكون مريضاً وتارة صحيحاً، وتارة ملتذاً وتارة متألماً، وتارة شاباً وتارة شيخاً. والانتقال من بعض هذه الصفات إلى غيرها ليس باختياره، ولا باختيار أحد.

وأيضاً كثيراً ما يجتهد في طلب شيء فلا يجد، وكثيراً ما يكون غافلاً عنه فيحصل؛ وعند ذلك يعلم كل أحد عند نقض العزائم وفسخ الهمم أنه لا بد له من مدبر يكون تدبيره فوق تدبير البشر.

وربما اجتهد العاقل الذكي في الطلب فلا يجد، والغر الغبي يتيسر له ذلك المطلوب. فعند هذه الاعتبارات يلوح له صدق قول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق^(٣)

ويظهر له أن هذه المطالب إنما تحصل وتيسر بناء على قسمة قسام لا تمكن منازعته ومغالته.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٢) في (ظ): مرتقياً للأخفى فالأخفى.

(٣) من قوله: «يلوح» حتى هنا لم يرد في (ظ).

وبالجملة، فلما كان اطلاق كلِّ أحدٍ على أحوالِ نفسه أشدَّ من اطلاقه على أحوالِ غيره، لا جرمَ قدَّم هذا الدليلَ على سائرِ الدلائلِ .

ثم تتلوها مرتبةً ثانية، وهي: علمُ كلِّ أحدٍ بأحوالِ آبائه وأجدادهِ وأهلِ بلده .

ثم مرتبةً ثالثة، وهي: معرفةُ الإنسانِ بأحوالِ الأرضِ التي هي مسكنُ الخلائقِ، فإنها مختلفةُ الأجزاء، كما قال اللّهُ تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزٌ ﴾ (١) . وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ (٢) .

ثم مرتبةً رابعة، وهي: العلمُ بأحوالِ الأفلاكِ، فإن بعضها يخالفُ البعضَ في العلوِّ والسُّفلِ، والصَّغرِ والكِبَرِ، والبطءِ والسرعةِ، وغير ذلك .

ثم مرتبةً خامسة، وهي: الأحوالُ المنزلةُ من السماءِ إلى الأرضِ، وهي نزولُ القطرِ من صلبِ السماءِ ووقوعه في رَحِمِ الأرضِ .

ثم بعد ذلك يحدثُ في الأرضِ الواحدةِ أنواعٌ من النباتِ، بحيث يخالفُ كلُّ واحدٍ منها صاحبهُ في اللونِ والشكلِ والطعمِ والطبعِ والخاصيةِ، وليس ذلك إلا بفعلِ قادرٍ مختارٍ يفعلُ بالعلمِ والقدرةِ لا بالعليةِ والطبيعيةِ .

وإذا عرفتَ ذلك ظهرَ لك أن للهِ في ترتيبِ هذه الدلائلِ الخمسةِ وتقديمِ بعضها على بعضٍ حكمةً بالغةً وأسراراً مرعيةً .

فسبحان من لا نهايةَ لعلمه، ولا غايةَ لحكمته! [

* * *

(١) سورة الرعد: الآية ٤ .

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٧ .

ثم إنَّ اللّٰهَ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَّ دَلَالَاتِ إِبْتِثَاتِ الصَّانِعِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، أَرَدَفَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ بِمَسْأَلَةِ إِقَامَةِ الدَّلَائِلِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ لَمِثْلِهِ﴾ (١).

وذلك لأنَّ التَّحْدِي وَوَقَعَ بِكُلِّ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٢). فلما عجزوا عن معارضة كلِّ القرآن أتبعه بالتحدي بعشر سور من القرآن، فقال: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ (٣). فلما عجزوا عنه أتبعه بالتحدي بسورة واحدة، فقال ها هنا: ﴿بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾. فلما عجزوا عنه أتبعه بالتحدي بآية، فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ (٤).

فلما عجزوا عنه مع توفُّرِ الدَّوَاعِي ظَهَرَ كَوْنُهُ مَعْجَزًا بَاهِرًا وَبِرَهَانًا قَاهِرًا.

* * *

ثم إنه تعالى أتبع هذه المسألة بمسألة المعاد، وهي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (٥).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٣) سورة هود: الآية ١٣.

(٤) سورة الطور: الآية ٣٤. وليس المقصود به «آية واحدة» كما ذكر المؤلف، بل المقصود القرآن، أي: إن كانوا صادقين في قولهم تقوله وافتراه فليأتوا بمثل ما جاء به محمد ﷺ من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاؤوا بمثله... الدر المنثور ١٥٠/٦، تفسير ابن كثير ٢٤٣/٤.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥.

الآية . كأنه قيل : إنا قدّمنا مدحَ المؤمنين وذمَّ الكافرين والمنافقين ، ولو لم يكن معادٌ يجدُ المحسنُ ثمرةَ إحسانه ، ويجدُ المسيءُ عقبةً إساءته ، لم يكن ذلك لاثقاً بحكمتي .

فلذلك أتبعَ سبحانه وتعالى ذكرَ التوحيدِ والنبوةِ بذكرِ المعاد ، وبينَ عقابَ الكافرينَ وثوابَ المطيعين . ومن عادةِ اللّهِ تعالى أنه إذا ذكرَ الوعيدَ أن يعقبهُ بذكرِ الوعد ، فلذلك قال بعده : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الآية .

* * *

إذا تقررَ هذا فنقول : أما قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ﴾ فالبشارةُ بفتح الباءِ وضمُّها وكسرها . وحكى فيها في تهذيب الأسماءِ واللغاتِ الكسرَ والضمَّ فقط^(١) .

وَبَشَّرَ وَبَشَّرَ بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ . وكذا في المضارع .

ويعنى البشارة : البشْرُ ، والتبشير ، والإبشار .

يقال : بَشَّرْتُ فلاناً أَبَشَّرُهُ تبشيراً .

وَبَشَّرْتُهُ — بتخفيف الشين — أَبَشَّرُهُ بَشْرًا^(٢) ، كقتلته أقتله قتلاً . لغتان .

والبشِيرُ : المبشِّرُ . والبشِيرُ : الحسنُ الوجه .

والبشْرُ : الطلاقة .

والاستبشار : الفرحُ والسرور .

وتباشيرُ الصبح : أوائله .

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٢٧/٣ .

(٢) المصدر «بشر» يأتي بالحركات الثلاث في الباء .

والبَشْرَةُ: ظاهرُ جلدِ الإنسان.

وأما البشارةُ فهي أولُ خبرٍ سارٍ يَرِدُ على الإنسان^(١). وعبارَةٌ بعضهم: هي الخبرُ الصدقُ السارُّ الذي ليس عند المخبرِ علمه^(٢). ولهذا قال الفقهاء: لو قال لعبيده: أياكم يبشرنى بقدوم فلانٍ فهو حرٌّ، فبشروهُ معاً، عَتَقَ الكلُّ، وفُرَادَى: عَتَقَ الأول؛ لأنه هو الذي أفادَ خبرَهُ السرورَ. ولو قال مكانَ «بشرنى»: «أخبرنى»، عَتَقُوا جميعاً؛ لأنهم جميعاً أخبروه. كذا في الكشاف^(٣)، وابن عادل، وغيرهما^(٤).

والذي نصَّ عليه فقهاؤنا^(٥): إنما يعتقُ الأولُ فقط كالبشارة^(٦).

وسميتُ بشارَةً لأنها تؤثرُ في بَشْرَةِ الإنسان^(٧)، وتُظهِرُ في بَشْرَةِ الوجهِ أثرَ السرورِ. ومنه سُمِّيَ الآدميونَ بَشْرًا لظهورهم. فإن كانت البشارةُ خيراً أثرتِ المسرَّةُ والانبساط، وإن كانت شراً أثرتِ الغمُّ والانقباض. والأغلبُ في عرفِ الاستعمالِ أن تكونَ^(٨) البشارةُ بالخيرِ، والندارةُ بالشرِّ. وربما تستعملُ البشارةُ في الشرِّ، ومنه قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُتَفَقِّهِينَ بِأَنَّهُمْ عَدَاوًا

(١) قال ناسخه في الهامش: الذي كان يقرره بعض مشايخنا في تعريفها: هي الخبر السارُّ أولاً. وهو أولى من عبارة المصنف، فتأمل. لكن يفهم ذلك مما بعده.

(٢) أورده الألويسي في روح المعاني ١/ ٣٢١.

(٣) الكشاف ١/ ٢٥٤.

(٤) وهو عند القرطبي بتوسع أكثر ١/ ٢٣٨.

(٥) يعني الحنابلة.

(٦) من أول ص ٢٤ حتى هنا لم يرد في (د).

(٧) وعن سيويه قوله: إنها خبر يؤثر في البشارة حزناً أو سروراً. روح المعاني ١/ ٣٢١.

(٨) من «وَبَشَّرَ وَبَشَّرَ» حتى هنا لم يرد في (ظ).

أَلِيمًا ﴿٢١﴾^(١)، إلا أن يكون استعمالها في ذلك من باب التهكم بالمخاطب. وهو ظاهرُ كلام الزمخشري وغيره، فإنه قال: وأما ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢١﴾^(٢) فمن العكس في الكلام الذي يُقصدُ به الاستهزاء الزائدُ في غيظِ المستهزأ به وتألمه واغتمامه^(٣).

لكن قال ابنُ فارس^(٤) وغيره: والبشارةُ تكونُ بالخيرِ والشرِّ، فإذا أُطلقتُ كانت في الخير، وإن استعملتُ في الشرِّ فبقيد. والمقيدةُ كقولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢١﴾.

قال ابن الخازن^(٥): والبشارةُ إيرادُ الخبرِ السارِّ، ثم كثرَ حتى وضعَ موضعَ الخيرِ والشرِّ^(٦).

وقال الواحدي^(٧): التبشيرُ إيرادُ الخبرِ السارِّ الذي يظهرُ أثره في بَشْرَةِ

(١) سورة النساء: الآية ١٣٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢١، وسورة التوبة: الآية ٣٤، وسورة الانشقاق: الآية ٢٤.

(٣) الكشاف ١/٢٥٥.

(٤) أحمد بن فارس القزويني الرازي. من أئمة اللغة والأدب. ت ٣٩٥هـ.

(٥) هكذا في الأصل. ويعرف بالخازن فقط. وهو علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم. ت ٧٢٥هـ.

(٦) ضبب الناسخ في (أ) على الكلمتين الأخيرتين بعد «الخير» فظهرتا برسم: سرًا وسا. وفي (ظ): سرًّا واسبًا. ولفظه من تفسير النسفي ١/٣٢: والبشارةُ إيرادُ الخبرِ السارِ على سامعٍ يستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه، لأن الإنسان إذا فرح بشيءٍ وسرَّ به ظهر ذلك على بشرة وجهه. ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر.

(٧) العالم المفسر علي بن أحمد بن محمد الواحدي، صاحب البسيط، والوسيط، والوجيز في التفسير. ت ٤٦٨هـ.

المخبر، ثم كثر استعماله حتى صار بمنزلة الإخبار، فاستعمل في نقيضه، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢١) (١).

وفي «تهذيب الأسماء واللغات»: قال قوم: أصل التبشير فيما يسر ويغم، لأنه يظهر في بشرة الوجه أثر الغم كما يظهر أثر السرور (٢).

و«بشّر» فعل أمر معطوف على الجملة السابقة، من عطف قصة على أخرى، فلا يطلب له مُشاكلٌ حتى يصحَّ عطفه عليه.

وقرئ «وبشّر» على صيغة الفعل مبنياً للمفعول، عطفاً على ﴿أَعَدَّتْ﴾ (٣).

وأجاز الزمخشري وأبو البقاء (٤) أن يكون «وبشّر» عطفاً على ﴿فَاتَّقُوا﴾ (٥) ليعطف أمر على أمر (٦). وردّه أبو حيان (٧) بأن «فاتقوا» جواب الشرط، والمعطوف يكون جواباً أيضاً، لأن حكمه حكمه، ولا يصح هنا،

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١/١٠٣. ويبدو أنه من الوجيز، فقد ورد باختصار. وورد بعد الآية في (ظ): إلا أنه ليس فيها ليس أكثر استعمالاً [هكذا].

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ٣/٢٧. ومنه أخذ قول ابن فارس والواحدي، وتصريفات أخرى. ومن آية سورة النساء (١٣٨) حتى هنا لم يرد في (د).

(٣) في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة: الآية ٢٤.

(٤) هو العلامة النحوي البارع عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري النحوي الحنبلي. له: تفسير القرآن، وإعراب القرآن، وغيرهما. ت ٦١٦هـ. سير أعلام النبلاء ٩١/٢٢.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٤.

(٦) الكشاف ١/٢٥٤.

(٧) محمد بن يوسف بن علي النحوي، أبو حيان، صاحب البحر المحيط. ت ٧٤٥هـ.

لأن التبشير لا يترتبُ على قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾^(١).

وأجاز الزمخشري وأبو السعود المفتي^(٢) أن «وبشر» بالبناء للمجهول معطوفٌ على «أعدت» كما تقدّم قبل^(٣)، وهذا فاسد، لأن «أعدت» صلةٌ «التي»، والمعطوفُ على الصلةِ صلةٌ، اللهمَّ إلا أن يُقالَ إن «أعدت» مستأنف. والظاهرُ أنه من تمامِ الصلة، أو أنه حالٌ من الضمير في «وقودها»^(٤). وتعليقُ التبشيرِ بالموصولِ للإشعارِ بأنه معلَّلٌ بما في حيزِ الصلةِ من الإيمانِ والعملِ الصالح، لكن لا لذاتِهِما، فإنهما لا يكافئان النعمَ السابقة، فضلاً من أن يقتضيا ثواباً مؤبداً فيما يستقبلُ، بل بجعلِ الشارعِ ومقتضىِ وعده^(٥).

والخطابُ في قوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ للنبيِّ ﷺ. وقيل: لكلُّ من يتأتى منه التبشير. وفيه رمزٌ إلى أن الأمرَ لعظمه وفخامته شأنه حقيقٌ بأن يتولَّى التبشيرَ به كلُّ من يقدرُ عليه.

* * *

(١) انظر: البحر المحيط ١/١١٠.

(٢) الإمام المفسر القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، صاحب التفسير المعروف باسمه، وهو «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم». ت ٩٨٢هـ.

(٣) لم يبد لي أن أبا السعود والزمخشري أجازا هذا الوجه، بل قال الأول: «وقرىء وبُشِّرَ على صيغة الفعل مبنياً للمفعول عطفاً على أعدت . . .» ثم أخذ يعلل هذا الوجه. تفسير أبي السعود ١/٦٨. أما الزمخشري فلم يزد على قوله في الكشاف ١/٢٥٤: وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه: «وبشر» على لفظ المبني للمفعول عطفاً على «أعدت». (٤) هنا ينتهي تعليق المؤلف، وما يليه من كلام أبي السعود. ولم يرد هذا والفقرة التي قبله في (د).

(٥) تفسير أبي السعود ١/٦٨.

وأما قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فـ «الذين» اسمٌ موصولٌ محلُّه النصبُ على المفعولية. وجملة «آمنوا» صلةٌ لا محلَّ لها من الإعراب.

و«الإيمان» لغةٌ: مطلقُ التصديق، وشرعاً - على ما صرَّحَ به الأشعريةُ وأكثرُ الأئمة - : هو تصديقُ القلبِ الجازمُ بما عُلِمَ ضرورةً مجيءُ الرسولِ به من عند الله تفصيلاً فيما عُلِمَ تفصيلاً، كالتوحيد، والنبوة، والبعث، والجزاء، وأركانِ الإسلام. وإجمالاً فيما عُلِمَ إجمالاً.

والمرادُ بتصديقِ القلبِ بذلك إذعانهُ وقبولُهُ له. وإنما قلنا بذلك لثلاً يَرِدُ علينا^(١) من صدَّقَ بقلبه ولم يدعن، كإبليسَ وأبي طالب، وذلك شبهةٌ قويةٌ لمن جعلَ الأعمالَ من الإيمانِ كما اختارَهُ الأكثر، كما يأتي^(٢).

فإن الكفرَ - كما في البغوي - أربعةٌ أنواع: كفرٌ إنكار، وكفرٌ جحود، وكفرٌ عناد، وكفرٌ نفاق.

فكفرُ الإنكارِ هو أن لا يعرفَ اللهَ أصلاً ولا يعترفَ به!

وكفرُ الجحودِ هو أن يعرفَ اللهَ بقلبه ولا يقرَّ بلسانه، ككفرِ إبليسَ ونحوه. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِمْ﴾^(٣).

وكفرُ العنادِ هو أن يعرفَ اللهَ تعالى بقلبه ويعترفَ بلسانه ولا يدينَ به، ككفرِ أبي طالبٍ حيث يقول:

ولقد علمتُ بأن دينَ محمدٍ
لولا الملامةُ أو حذارٍ مسبَّةٍ
من خيرِ أديانِ البريَّةِ دينا
لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً^(٤)

(١) يعني شبهة من صدق...

(٢) يأتي بيانه في الصفحات التالية.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: السيرة النبوية ص ١٥٠.

وأما كفرُ النفاقِ فهو أن يقرَّ باللسانِ ولا يعتقَدَ بالقلبِ .

وجميعُ هذه الأنواعِ سواءٌ في أن من لقي اللّهَ بواحدٍ منها لا يُغفَرُ له .
وأبو طالبٍ وإن كان عندهُ تصديقٌ وإقرارٌ، لكن ليس معه إذعانٌ وقبولٌ .

ولذلك قال شيخُ الإسلامِ تقيُّ الدينِ ابنُ تيميةَ : إن مجردَ تصديقِ القلبِ واللسانِ مع البغضِ والاستكبارِ لا يكونُ إيماناً باتفاقِ المسلمين ، حتى يقرنَ بالتصديقِ عملٌ . وأصلُ العملِ عملُ القلبِ ، وهو الحبُّ والتعظيمُ المنافي للبغضِ والاستكبارِ^(١) . انتهى .

وقد أفردنا مسألةَ الإيمانِ والإسلامِ وعمومِهما وخصوصِهما ، وهل الأعمالُ من الإيمانِ ، وهل يزيدُ وينقصُ ، وهل إيمانُ المقلِّدِ صحيحٌ ، بالتصنيفِ ، وأطلنا الكلامَ على ذلك^(٢) ، فلا يليقُ بهذه الرسالةِ اللطيفةِ .

* * *

وأما قوله تعالى : ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فهو معطوفٌ على ﴿ ءَامَنُوا ﴾ . قال ابنُ الخطيبِ وغيره : هذه الآيةُ تدلُّ على أن الأعمالَ غيرُ داخليةٍ في الإيمانِ ؛ لأنه تعالى ذكرَ الإيمانَ ثم عطفَ عليه العملَ الصالحَ ، فوجبَ التغايرَ ، وإلّا لزمَ التكرارُ ، وهو خلافُ الأصلِ . انتهى .

يعني : ففي الآيةِ ردٌّ على من جعلَ العملَ من الإيمانِ ، لأن العطفَ دليلٌ على المغايرةِ .

= و صدر البيت الأول فيه :

وعرضتَ ديناً قد عرفتُ بأنه

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (كتاب الإيمان) ٥٣٧/٧ بمعناه .

ومن قوله : « وإنما قلنا بذلك » حتى هنا ، لم يرد في (د) .

(٢) لعله في كتابه « توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان » .

والذي ذهب إليه جمهورُ المحدثينَ والمعتزلةُ والخوارجُ أن الإيمانَ مجموعُ ثلاثةِ أمورٍ: اعتقادُ الحقِّ، والإقرارُ به، والعملُ بمقتضاه.

فمن أخلَّ بالاعتقادِ وحدهُ فهو منافقٌ .

ومن أخلَّ بالإقرارِ فهو كافرٌ .

ومن أخلَّ بالعملِ فهو فاسقٌ إجماعاً، وكافرٌ عند الخوارج، وخارجٌ عن الإيمانِ غيرُ داخلٍ في الكفرِ عند المعتزلة .

وأما المرجئةُ^(١) فقالوا: الإيمانُ اعتقادٌ ونطقٌ فقط .

والكراميةُ^(٢) قالوا: هو نطقٌ فقط .

وبالجملةِ فالعبدُ إذا فعلَ فعلاً لا يدلُّ على الكفرِ، كالفسقِ، فمن أطلقَ عليه الإيمانَ فبالنظرِ إلى إقراره، ومن نفى عنه الإيمانَ فبالنظرِ إلى كماله . ومن أطلقَ عليه الكفرَ فبالنظرِ إلى أنه فعلَ فعلَ الكافرِ .

وقال المفتي^(٣) في تفسيره: وفي عطفِ العملِ على الإيمانِ دلالةٌ على تغييرهما، وإشعارٌ بأن مدارَ استحقاقِ مفهومِ البشارةِ هو مجموعُ الأمرين، فإنَّ الإيمانَ أساس، والعملُ الصالحُ كالبناءِ عليه . ولا اعتبارَ بأسِّ لا بناءً به^(٤) . كذا قال المفتي في تفسيره .

وهل ينفعُ الإيمانُ ويعتبرُ بلا عملٍ؟ على مذهبين :

فمنهم من قال: إن النطقَ بالشهادتين شرطٌ من الإيمان، وجزءٌ منه

(١) وقد سميت المرجئة بهذا الاسم لتقديمهم القول وإرجائهم العمل .

(٢) نسبة إلى مؤسسها محمد بن كرام السجستاني (ت ٢٧٥هـ) الذي يرى أن الله جوهر وجسم لا كالأجسام، حيث له حدٌ واحد . . . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٣) يعني أبا السعود .

(٤) في (ظ) : والاعتبار بالأساس لا بالبناء .

داخلٌ في مسماه . وإليه ذهب الإمام النووي رحمه الله ، وحكى الاتفاق عليه ، فقال في شرح مسلم :

اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يُحكّم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار، لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك، ونطق بالشهادتين . فإن اقتصر على إحداهما لم يكن من أهل القبلة أصلاً، إلا إذا عجز عن النطق لخلل في لسانه، أو لعدم التمكن منه لمعالجة المنية، أو لغير ذلك، فإنه يكون حينئذ مؤمناً^(١)، يعني بالاعتقاد، من غير تلفظ بالشهادتين .

وعليه فمدارُ استحقاق البشارة مجموع الأمرين . وصحَّ كلام المفتي . لكن يخرج منه من لم ينطق بالشهادتين لعذرٍ كما مرَّ .

قلت : ولعلَّ ما حكاه الإمام النووي رحمه الله محمولٌ على الكافر الأصلي إذا آمن بقلبه فقط، وإلا فقد اتفقوا على الإسلام بالتبعية . وفي مسائل أخر بلا نطق بالشهادتين .

والذي ذهب إليه جمهور المحققين أن النطق بالشهادتين إنما هو شرطٌ لإجراء الأحكام الدنيوية : من الصلاة عليه، والتوارث، والمناكحة، وغيرها، غير داخل في مسمى الإيمان .

وعليه فمن صدق بقلبه ولم يقرّ بلسانه مع تمكنه من النطق بالشهادتين، فهو مؤمنٌ عند الله . ويؤيد ذلك الحديث الصحيح، وهو قوله ﷺ :

«من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٢) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/١٤٩ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شك ٤١/١ ، وابن أبي شيبة في المصنف ٣/٢٣٨ ، وأبو نعيم في الحلية ٧/١٧٤ ، =

فاقتصَرَ الشارِعُ ﷺ على العلمِ دونِ العملِ . فظهرَ بهذا أن الإيمانَ وحدهُ بدونِ العملِ به اعتبارًا وأيُّ اعتبارٍ .

وعليه ، فعطفُ العملِ على الإيمانِ في الآياتِ لبيانِ الأشرفِ الكاملِ أو الغالبِ ، أو أن^(١) المرادُ به المستحقُّ للبشارةِ من غيرِ سابقةِ عذابٍ ، بخلافِ من لم يعملِ ، فهو داخلٌ في المشيئةِ ، وإن كان لا يخلدُ في النارِ ، كما دلَّ عليه الحديثُ الصحيحُ ، فتأملُ .

فالمؤمنُ المطيعُ له الجنةُ بوعدٍ من اللّهِ تعالى من غيرِ تعذيبٍ .

والكافرُ له التعذيبُ المؤبّدُ بوعيدِ اللّهِ تعالى .

والمؤمنُ العاصي في مشيئةِ اللّهِ تعالى ، إن شاء غفرَ له وأدخله الجنةَ بلا تعذيبٍ ، وإن شاء عذّبهُ ثم أدخله الجنةَ بفضلِهِ^(٢) .

والمرادُ بـ «الأعمالِ الصالحاتِ» ما يشتملُ على كلِّ عملٍ صالحٍ . وحاصلهُ : كلُّ ما استقامَ من الأعمالِ بدليلِ العقلِ والنقلِ . ولا يكونُ مستقيماً إلّا ما فيه الإخلاصُ ، والعلمُ والنيّةُ . فعن عثمانَ رضي اللّهُ تعالى عنه أن المرادَ : أخلصوا الأعمالِ . يدلُّ عليه قوله تعالى : ﴿ فليعملْ عملاً صالحاً ولا يشركْ بِعبادةِ رَبِّهِ أحداً ﴾^(٣) . والمُرائي لا يكونُ عمله صالحاً ، لأنه لا يكونُ خالصاً^(٤) .

= وأحمد في المسند ١/٦٥ ، وابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين رقم ٤ ، من حديث عثمان .

(١) في (أ) : وأن .

(٢) في (ظ) : عذبه بذنبه ثم أدخله الجنة .

(٣) سورة الكهف : الآية ١١٠ . وعلق الناسخ في الهامش : أقول : ظاهرُ الآية يدلُّ على

أن العملَ الصالحَ مقيدٌ بالإخلاصِ ، فالصلاحُ وصفٌ آخر غيرِ الإخلاصِ ، فتأملهُ .

(٤) في (ظ) : لأنه ليس خالصاً .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾^(١).

وقوله ﷺ في الصحيح: «يقولُ اللهُ تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عملَ عملاً أشركَ فيه غيري فأنا منه بريء، وهو كُفُّهُ للذي أشرك»^(٢).

قال ابن تيمية^(٣): وهذا هو التوحيدُ الذي هو أصلُ الإسلام، وهو دينُ الله الذي بعثَ به جميعَ رسله، وله خلق الخلق، وهو حقُّه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً^(٤).

[ولهذا كان الإمامُ عمر بنُ الخطابِ رضي الله عنه يقول: اللهم اجعلْ عملي كُفُّهُ صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئاً]^(٥).

وقال الفضيل بن عياض^(٦) في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾^(٧) قال: أخلصه وأصوبه.

(١) سورة البينة: الآية ٥.

(٢) نقل المؤلف لفظه من فتاوى ابن تيمية ١٣٤/٢٨، ولفظه عند أحمد: «أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك» المسند ٣٠١/٢. وهو عند ابن ماجه بلفظ: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك». سننه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة ١٤٠٥/٢ رقم ٤٢٠٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤٣١٣. ولفظه عند مسلم: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». صحيحه، كتاب الزهد والرفاق، باب من أشرك في عمله غير الله ٢٢٣/٨.

(٣) في (ظ): قال بعض المحققين.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣٥/٢٨.

(٥) الزهد للإمام أحمد ٢٧/٢. ولم يرد هذا في (أ).

(٦) أبو علي الفضيل بن عياض المروزي. أحد الأعلام. قدم الكوفة شاباً. قال فيه شريك القاضي: فضيل حجة لأهل زمانه. ت ١٨٧هـ. العبر ٢٣١/١.

(٧) سورة هود: الآية ٧، وسورة الملك: الآية ٢.

فقيل له: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟

فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون صواباً خالصاً. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنّة^(١).

وقال سعيد بن جبير^(٢) والحسن البصري: لا يقبل قولٌ إلا بعمل، ولا يقبل قولٌ وعملٌ إلا بنية، ولا يقبل قولٌ وعملٌ ونيةٌ إلا بموافقة السنّة، وهي الشريعة^(٣).

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: العلمُ إمامُ العمل، والعملُ تابعه^(٤).

[وهذا ظاهر، فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلاً وضلالاً واتباعاً للهوى، وهذا مشاهد، فإن كثيراً من الناس من يتعبّد بعباداتٍ لم يأمر الله بها، بل قد نهى عنها]^(٥).

وقيل في تفسير الآية ما روي عن عليّ كرم الله وجهه: إن المراد: وأقاموا الصلوات المفروضة.

وقال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: العملُ الصالحُ الذي يكونُ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣٤/٢٨.

(٢) سعيد بن جبير الوالبي الكوفي المقرئ، الفقيه المفسر. أحد الأعلام. قتله الحجاج وله نحو خمسين سنة، في شهر شعبان سنة ٩٥هـ. العبر ١/٨٤.

(٣) هذا القول رواه أبو همام السكوني عن أبيه، كما في حلية الأولياء ٧/٣٢. ووردت الجملة الأولى من قول الحسن في المصدر السابق ٢/٣٣٥، والدر المنثور ٥/٤٦٢.

(٤) لعله يعني حديث «عثمان» السابق: «من مات وهو يعلم...»؟

(٥) ما بين المعقوفتين لم يرد في (أ).

فيه أربعة أشياء: العلم^(١)، والنية، والصبر، والإخلاص.

وقال سهل بن عبد الله^(٢): «وعملوا الصالحات» أي لزموا السنّة، لأنّ عمل المبتدع لا يكون صالحاً ألبتة.

وقال بعضهم: أدّوا الأمانات.

وقيل: أدّوا الفرائض واجتنبوا المحارم.

وقيل: الأعمال الصالحات نوعان: أعمالٌ بينك وبين العباد، كأداء الأمانات، والوفاء بالعهود، وقضاء الحقوق، وصلة الأرحام. وأعمالٌ بينك وبين الله تعالى، وهي نوعان: ظاهرة وباطنة. فالظاهرة أداء الشرائع، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والطهارة. والباطنة صفات القلب، كالتوكل، والرضا بالقضاء، والصبر في البلاء، والشكر في الرخاء. والأمر في ذلك سهل^(٣).

(١) في (أ): العمل.

(٢) القدوة العارف سهل بن عبد الله التستري الزاهد. لقي ذا النون، وأسند عن خاله محمد بن سوار. له مواعظ وأحوال وكرامات، وكان من أكبر مشايخ القوم. ت ٢٨٣هـ. صفة الصفوة ٦٤/٤، العبر ٤٠٧/١. وورد في (أ): سهل بن عطاء الله.

(٣) قال ناسخه معلقاً: قوله: (والأمر في ذلك سهل) [ولم ترد هذه العبارة في (أ)] الظاهر أن مراده بمرجع الإشارة المذكور من الخلاف في المراد بالأعمال الصالحات، أي ليس له عظيم جدوى، أو مراده: سهل على من سهل الله عليه. وأقول: هو في الحقيقة عظيم الخطر، إذ ترتيب هذا الجزاء الجسيم عليه يحرك كل ذي لب سليم لطلب معرفته ليفوز بالجزاء المذكور. ويظهر للفقير أن الحكمة في عدم ذكر الموصوفات في الآية الكريمة بالتصريح والتعيين هي الحكمة في إخفاء ساعة الإجابة في يوم الجمعة وليلة القدر. وهي هنا حضّ العاملين على التقيد بكل عمل صالح، وفي تينك حضّ الداعين والقائمين على استيعاب ذلك =

وأما قوله تعالى: ﴿أَنْ لَّهُمْ جَنَّاتٌ﴾ فالجاء والمجرور خبرٌ «أَنْ» مقدّم.
 والتحقيق: أن الخبر متعلقٌ الظرف. و«جَنَاتٍ» اسمُها مؤخّر. و«أَنْ»
 وما في حيّزها في محلّ جرٍّ عند الخليل والكسائي، ونصبٌ عند سيبويه
 والفراء^(١). لأن الأصل: «وبشّر الذين آمنوا بأن لهم». فحذف حرف الجرّ مع
 «أَنْ». وهو حذفٌ مطرّدٌ معها ومع «أَنْ» الناصبة. ويظهر أثر ذلك في التابع،
 كقول الشاعر:

وما زرتُ ليلى أن تكونَ حبيبةً إليّ ولا دَيْنٍ بها أناطبُهُ
 فعطف «دَيْنٍ» بالجرّ على محلّ «أَنْ» يبيّن كونها مجرورة.

واللام من الحروفِ الجارّة للظاهر والمضمّر، لكن تُكسرُ مع الظاهرِ
 إلّا في الاستغاثة، وتفتحُ مع المضمّر^(٢) كما هنا إلّا مع ضميرِ ياء المتكلم،
 نحو «لي».

واللام أكثرُ الحروفِ معان:

فهي للملك، نحو: المألّ لزيد.

وللاختصاص، نحو: الجنة للمؤمنين.

وللاستحقاق، نحو: النار للكافرين.

= اليوم وتلك الليلة بالاشتغال بالدعاء والعبادة. فتدبّر. ونسأل الله من فضله التوفيق
 لسلوك ذلك الطريق وتسهيله حتى نصل لذلك الجزاء مع خير فريق بمنّه وكرمه.
 آمين. لكتابه عبد القادر الصفوري غفر الله له ولوالديه والمسلمين أجمعين.

(١) هم من أئمة اللغة والأدب. الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت ١٧٠هـ. علي بن

حمزة الكسائي، ت ١٨٩هـ. عمرو بن عثمان سيبويه، ت ١٨٠هـ. يحيى بن

زياد الفراء، ت ٢٠٧هـ.

(٢) في (أ): الضمير.

- وللتعليل، نحو: قَمْتُ لَكَ .
وللتعجب، نحو: لَلَّهِ دَرْكُ .
وللاستعلاء، نحو ﴿يَجْرُونَ لِلآذْقَانِ﴾^(١) .
وللقسم، نحو: لَلَّهُ لَا يُؤَخِّرُ الْأَجَلَ .
وللوقت، نحو: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾^(٢) .
وللتأريخ، نحو: كُتِبَ لْخَمْسِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ .
وللعاقبة، نحو: «لِدُوا لِمَوْتِ، وَابْنُوا لِلْخَرَابِ»^(٣) .
وبمعنى «في»، نحو: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٤) .

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٧ .

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٨ .

(٣) هذا يروى حديثاً لكنه لا يصح . أورده البيهقي في شعب الإيمان ٣٩٦/٧ رقم ١٠٧٣٠ من حديث أبي هريرة وأوله: «ملك بيباب من أبواب السماء يقول: من يقرض اليوم...» . وآخره: «وملك بيباب آخر يقول: يا بني آدم لدوا للتراب وابنوا للخراب» . ويليهِ حديث أبي حكيم مولى الزبير رفعه: «ما من صباح يصبحه العباد إلا وصارخ يصرخ: يا أيها الناس لدوا للتراب واجمعوا للفناء وابنوا للخراب» . انظر تخريج رواياته في كشف الخفاء ١٤٠/٢ . وضعف الألباني الحديث الثاني في ضعيف الجامع الصغير ٥١٨٩ . أما الأول فورد في أكثر من مصدر بدون محل الشاهد، وقال فيه صاحب مجمع الزوائد ٢٣٨/١٠: رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين، في أحدهما المقدم بن داود وهو ضعيف، وقال ابن دقيق: إنه وثق . وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٥٢٨ رقم ٨٥٥: وهو عند أحمد والنسائي في الكبرى بدون الشاهد فيه، وصححه ابن حبان ثم شيخنا . يعني ابن حجر . قلت: ويروى غير مرفوع أيضاً، كما في كشف الخفاء، والمصدر الأخير .

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٤٧ .

وبمعنى بعد، نحو: «صوموا لرؤيته»^(١)، أي: بعد رؤيته.

وبمعنى إلى، نحو: ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٢).

وبمعنى مع، نحو:

فَلَمَّا تَفَارَقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعًا

وبمعنى من، نحو:

وَإِنَّ قَرِينَ السُّوءِ لَسَتْ بِوَاجِدٍ لَهُ رَاحَةٌ مَا عَشَتْ حَتَّى تَفَارِقَهُ

وزائدة، نحو: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾^(٣).

وللجزاء، نحو: لو جئتني لأكرمئك.

وللأمر، نحو: لتضرب.

وللتأكيد، نحو: ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾^(٤).

وللابتداء، نحو: لزيدٌ قائم.

وللتعريف، نحو: الرجل، عن الأخفش، وأحد قولَي سيبويه^(٥).

وللعهد.

و ﴿جَنَّتٍ﴾: جمع جَنَّة. وَسُمِّيَتِ الْجَنَّةُ جَنَّةً لِاسْتِتَارِ أَرْضِهَا
بِأَشْجَارِهَا، أَوْ لِأَنَّهَا تَسْتُرُ وَتُظِلُّ مَنْ يَكُونُ فِيهَا بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّجَرِ.

(١) قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُبِّيَ عليكم فأكملوا عدة شعبان

ثلاثين». رواه البخاري في صحيحه ٢٢٩/٢ من حديث أبي هريرة، كتاب

الصوم، باب قول النبي ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا».

(٢) سورة الرعد: الآية ٢.

(٣) سورة هود: الآية ١٠٧.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٦٥.

(٥) هكذا وردت الجملة في (أ)، (ظ)، ولم ترد في (د).

ومنه سُمِّيَ الْجِنُّ جِنًّا لِاسْتَارِهِمْ . وَالْجِنُّ مِنْ ذَلِكَ .
وَالدَّرْعُ جُنَّةٌ .

وَجَنَّ اللَّيْلُ إِذَا سَتَرَ . وَالْجَنُونَ يَسْتَرُ الْعَقْلَ .

وَعَنْ بَعْضِهِمْ : إِنْ الْجَنَّةَ كُلُّ بَسْتَانٍ فِيهِ نَخْلٌ .

وَقَالَ الْفَرَّاءُ : الْجَنَّةُ مَا فِيهِ النَّخِيلُ ، وَالْفَرْدَوْسُ مَا فِيهِ الْكُرْمُ .

وَقَالَ الزَّجَّاجُ ^(١) : كُلُّ نَبْتٍ كَثْفٌ وَكَثْرَ وَسْتَرَ بَعْضُهُ بَعْضًا فَهُوَ جَنَّةٌ .

وَقِيلَ : الْجَنَّةُ : الْبَسْتَانُ فِيهِ النَّخِيلُ وَالشَّجَرُ الْمُتَكَاثِفُ .

وَسُمِّيَتْ دَارُ الثَّوَابِ جَنَّةً لِمَا فِيهَا مِنَ الْجِنَانِ .

وَفِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ : ﴿ جَنَّتٍ ﴾ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ إِشْعَارٌ بِتَعَدُّدِهَا . وَهُوَ
كَذَلِكَ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ اسْمٌ لِدَارِ الثَّوَابِ كُلِّهَا . وَهِيَ مُشْتَمَلَةٌ عَلَى جَنَاتٍ كَثِيرَةٍ ،
مَرْتَبَةٌ عَلَى حَسَبِ اسْتِحْقَاقَاتِ الْعَامِلِينَ ، لِكُلِّ طَبَقَةٍ مِنْهُمْ جَنَّةٌ مِنْ تِلْكَ
الْجَنَاتِ . لَكِنْ اخْتَلَفُوا فِي مَقْدَارِ عِدَّتِهَا :

فَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : قِيلَ : الْجِنَانُ سَبْعٌ : دَارُ الْجَلَالِ ، وَدَارُ السَّلَامِ ، وَدَارُ
الْخُلْدِ ، وَجَنَّةُ عَدْنِ ، وَجَنَّةُ الْمَأْوَى ، وَجَنَّةُ نَعِيمِ ، وَجَنَّةُ الْفَرْدَوْسِ .

وَزَادَ بَعْضُهُمْ : عَلِّيَيْنِ . فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ يَرْفَعُهُ :

«إِنَّ عَلِّيَيْنِ تَحْتَ الْعَرْشِ» ^(٢) .

وَفِي تَفْسِيرِ السَّمْرَقَنْدِيِّ ^(٣) هِيَ ثَمَانٌ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ

(١) الْعَالِمُ اللَّغْوِيُّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ . ت ٣١١ هـ .

(٢) أَوْرَدَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٥١/١٩ بِلَفْظِ : «عَلِيُونَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عِنْدَ قَائِمَةِ

الْعَرْشِ الْيَمْنِيِّ» . وَأَوْرَدَهُ السِّيُوطِيُّ مَوْقُوفًا بِمَعْنَاهُ فِي الدَّرِّ الْمَثُورِ ٥٤١/٦ .

(٣) فِي (أ) : وَفِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ .

عنهما: هي دارُ الجلال، ودارُ القرار، ودارُ السلام، وجنةُ عدن - وهي قصبَةُ الجنة، ومشفرةٌ على الجنانِ كُلِّها - ، وجنةُ المأوى، وجنةُ الخلد، وجنةُ الفردوس، وجنةُ نعيم.

وقيل: الجنانُ أربعٌ فقط، واختاره الحَلِيمي^(١)، لما روى إمامنا أحمد والطيالسي والبيهقي عن أبي موسى رضي اللهُ تعالى عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«جِنَانُ الْفَرْدَوْسِ أَرْبَعٌ: جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا...» الحديث^(٢).

وهذه الأربعةُ توصفُ بالمأوى، والخلد، والعدن، والسلام.

قال ابن زيد^(٣): هي أربع: جنتان للمقرَّبين السابقين ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَلَكَهَةٍ زَوْجَانِ﴾^(٤)، وجنتان لأصحابِ اليمين والتابعين.

(١) القاضي أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد الحلبي البخاري، الفقيه الشافعي، صاحب التصانيف. صاحب وجه في المذهب. وكان إماماً متقناً. ت ٤٠٣هـ. العبر ٢/٢٠٥.

(٢) هذا لفظ مسند الطيالسي ص ٧٢ لكن المؤلف أورد أوله «جنتان». وهو بالفاظ متقاربة في مسند أحمد ٤/٤١٦، قال في مجمع الزوائد ١٠/٣٩٧: رجاله رجال الصحيح، شعب الإيمان ١/٣٤٨ رقم ٣٨٤. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٢٦٣٥ لأحمد والطبراني. قلت: ويأتي الحديث في صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾^(٥) ١٨٥/٨ وأوله: «جنتان من فضة أنيتهما وما فيهما...» والراوي واحد هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم صاحب التفسير، (ت ١٨٢هـ).

(٤) سورة الرحمن: الآية ٥٢. وانظر قريباً من هذا التفسير «الدر المنثور» ٦/٢٠٣.

لطيفة: روى ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«خلق الله الجنة عدن بيده، بناها لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زمردة^(١) خضراء. ملاطها المسك، وحشيشها الزعفران، وحصباؤها اللؤلؤ، وترابها العنبر، ثم قال لها: انطقي. فقالت: قد أفلح المؤمنون. فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل»^(٢)!

تسبيه: قال ابن عادل^(٣): هذه الآيات صريحة في أن الجنة والنار مخلوقتان، لأنه تعالى قال في صفة النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٤). وقال في صفة الجنة في آية أخرى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥). وقال: ﴿وَيَسِّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾. وهذا إخبار عن وقوع هذا الملك وحصوله. وحصول الملك في الحال يقتضي حصول المحلول في الحال. كذا قال. قال: فدل على أن الجنة والنار مخلوقتان. انتهى.

والى القول بأنهما مخلوقتان ذهب جمهور الأمة.

(١) في «صفة الجنة»: زبرجدة.

(٢) صفة الجنة لابن أبي الدنيا رقم ٢٠، وضعف محققه إسناده. وأورده الحافظ المنذري بالفاظ متقاربة وقال: رواه الطبراني في الكبير ١٢/١٤٧ والأوسط بإسنادين أحدهما جيد. الترغيب والترهيب ٣/٣٨٠، ٤/٥١٣. وكذا قال في مجمع الزوائد ١٠/٣٩٧، وما ذكره من رواية ابن عباس وليس أنس. وأورده باختصار ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٥/١٩٣، والحاكم في المستدرک ٢/٣٩٢، من رواية أنس، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. عقب عليه الذهبي بقوله: بل ضعيف.

(٣) الإمام المفسر عمر بن عادل الدمشقي، توفي بعد ٨٨٠هـ. صدر تفسيره محققاً في (٢٠) مجلداً.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

وذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أنهما لم تُخلقا بعد . وبه قال منذر بن سعيد البلوطي^(١) . واحتجوا بقول امرأة فرعون : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾^(٢) . وبما جاء في الأحاديث الصحيحة : من عمل كذا غُرس له في الجنة كذا^(٣) . قالوا : لو كانت الجنة مخلوقة لم يكن للدعاء في استئناف الغرس والبناء فائدة .

وأجيب بأنه لا مانع من أن يُحدث الله في الجنة أشياء يُنعمُ بها على عباده شيئاً بعد شيء ، وحالاً بعد حال ، فيحدث فيها ما شاء من البنين والغرس ، كما أن الأرض مخلوقة ثم يُحدث الله تعالى فيها ما يشاء من بنين وغيره .

والدليل على وجود الجنة الآن ما مرّ ، وقوله تعالى : ﴿ يَتَكَادَمُ أَشْجُنُ أَنْتَ وَرَوْجُكَ الْجَنَّةِ ﴾^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾^(٥) ، وقوله ﷺ في حديث الترمذيّ وصحّحه :

«لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ :

(١) أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي ، قاضي الجماعة بقرطبة . كان ظاهري المذهب ، فطناً ، مناظراً ، ذكياً ، بليغاً ، مفوهاً ، شاعراً ، كثير التصانيف ، قوَّالاً بالحق ، ناصحاً للخلق ، عزيز المثل . ت ٣٥٥ هـ . العبر ٩٦ / ٢ .

(٢) سورة التحريم : الآية ١١ .

(٣) كقوله ﷺ : «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غُرس له نخلة في الجنة» . سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب منه ٥١١ / ٥ رقم ٣٤٦٤ والذي يليه ، وقال في الأول : حديث حسن صحيح غريب ، وفي الثاني : حديث حسن غريب .

وصححه في صحيح الجامع الصغير ٦٤٢٩ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٣٥ .

(٥) سورة النجم : الآية ١٥ .

ولم ترد الآيتان في (أ) .

انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فجاءها ونظر إليها...»
الحديث^(١).

وذكر أدلة كل من الفريقين في هذه المسألة مما يطول.

وقد أطال العلامة ابن القيم الكلام على ذلك في أول كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» فراجعه.

قال الزمخشري: والذي يقول إنها مخلوقة — يعني الجنة — يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة، وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام، كالنبي، والرسول، والكتاب^(٢). انتهى.

قلت: وعلى هذا التعليل فالصراط والميزان والحوض مخلوقة الآن، لمجيئها على نهج الأسماء الغالبة، فتأمل فإنه جيد، وهو حق إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) تكلمته: «فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه، قال: فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. فأمر بها فحُفَّت بالمكاره، فقال: ارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فرجع إليها فإذا هي قد حُفَّت بالمكاره، فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد. قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً. فرجع إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها. فأمر بها فحُفَّت بالشهوات، فقال: ارجع إليها. فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها». سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء «حفت الجنة بالمكاره» ٦٩٣/٤ رقم ٢٥٦٠، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الكشف ٢٥٦/١ - ٢٥٧.

وأما قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فاللام^(١) في «الأنهار» للجنس، كما في قولك: لفلان بستان فيه الماء الجاري.

أو عوض من المضاف إليه على رأي بعض الكوفيين، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(٢).
أو للعهد.

والإشارة إلى ما ذُكر في قوله سبحانه: ﴿أَنْهَرُ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾^(٣).

وفي الكشف: ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى، وأن الجنان والرياض وإن كانت آتق شيء وأحسنه، لا تروق النواظر، ولا تبهج الأنفس، ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء، وإلا كان الأنس الأعظم فائتاً، والسرور الأوفر مفقوداً، وكانت كتمائيل لا أرواح فيها، وصور لا حياة لها؛ لَمَا جاء اللُّهُ تعالى بذكر الجنات^(٤) مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها، مَسُوقِينَ على قرانٍ واحد^(٥)، كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه. ولَمَا قَدَّمَهُ على سائر نعمتها^(٦).

والنهرُ - بفتح الهاء وسكونها - : المجرى الواسع، فوق الجدول ودون البحر، كالنيل والفرات. والمرادُ بها «ماؤها» على الإضمار، أو على المجاز، كما في: سال الميزابُ. يقال: جرى الماءُ يجري جَرِيًا وجَرِيَةً وجَرِيَانًا أي سالَ.

(١) يعني «ال» التعريف فيها.

(٢) سورة مريم: الآية ٤.

(٣) سورة محمد: الآية ١٥.

(٤) هنا زيادة كلمة «الإل» في الأصلين: (أ)، (ظ)، وليست في الكشف.

(٥) القرآن: الجمع بين الشيئين.

(٦) الكشف ٢٥٨/١.

وفي ابن عادل: وهل النهرُ هو مجرى الماء، أو الماء الجاري نفسه؟
الأول أظهر، لأنه مشتقٌ من نَهَرَتْ، أي وَسَعَتْ، ومنه النهار، لا تَسَاعِ
ضوئه. وقوله ﷺ: «ما أنهرَ الدم»^(١)، ومعناه ما وَسَعَ المذبح حتى يجريَ
الدمُ كالنهر.

فإن قيلَ بأن النهرَ اسمٌ للماءِ الجاري؛ فنسبةُ الجري إليه حقيقة.
وإن قيلَ للأخدودِ؛ فنسبةُ الجري إليه مجاز. انتهى.

و «تحت» بمعنى سُفل. والمراد: تجري من تحت شجرها
أو قصورها، لا من تحت أرضها. وإنما يحتاجُ إلى هذا التقديرِ إذا قيلَ بأنَّ
الجنةَ هي الأرضُ ذاتُ الشجر. وأما إذا قيلَ بأنها الشجرُ نفسه فلا حاجةَ إلى
ذلك.

وعلى كلِّ تقديرٍ فأنهارُ الجنةِ ليستُ تجري في أخدود، بل على وجهِ
أرضِ الجنة. منضبطةً بالقدرة، لما روى أبو نعيم وابن مردويه والضياء عن
أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«لعلكم تظنون أن أنهارَ الجنةِ أخدودٌ في الأرض؟ لا والله! إنها لسائحةٌ
على وجهِ الأرض، حافَّتاها خيامُ اللؤلؤ، وطينُها المسكُ الأذفر».

قلت: يا رسولَ الله، ما الأذفر؟

قال: «الذي لا خلطَ معه»^(٢).

وأخرجهُ ابنُ أبي الدنيا عن أنس رضي الله تعالى عنه موقوفاً^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب التسمية على الذبائح ٦/٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢) حلية الأولياء ٦/٢٠٥. ونقله المؤلف من الدر المنثور ١/٨٢.

(٣) صفة الجنة رقم ٦٨.

قال الترمذي: وهو أشبه بالصواب^(١).

وروى الترمذي وصححه والبيهقي عن معاوية بن جندب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«إن في الجنة بحرَ الماء، وبحرَ العسل، وبحرَ اللبن، وبحرَ الخمر، ثم تَشَقُّقُ الأنهارُ منها بعدُ»^(٢).

وروى ابنُ حبانَ والحاكمُ والبيهقيُّ وابنُ أبي حاتمٍ والطبراني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«أنهارُ الجنةِ تتفجَّرُ من جبلٍ مسكٍ»^(٣).

لطيفة: روى الحارث بن أبي أسامة، والبيهقيُّ عن كعب رضي الله تعالى عنه قال:

نهرُ النيلِ نهرُ العسلِ في الجنة، ونهرُ دجلةِ نهرُ اللبنِ في الجنة،

(١) هذا قول الحافظ المنذري وليس الترمذي. الترغيب والترهيب ٥١٨/٤.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة ٦٩٩/٤ رقم ٢٥٧١ وقال: حديث حسن صحيح. وصححه في صحيح الجامع الصغير ٢١٢٢. وللبيهقي أورده في الترغيب والترهيب ٥١٨/٤ أوله: «في الجنة بحر للماء وبحر للبن...». وهو من كتابه «البعث والنشور» ونقله المؤلف من الدر المنثور ٢٥/٦.

(٣) لفظه عند ابن حبان: «أنهارُ الجنة تخرج من نحن تلالٍ — أو من تحت جبالٍ — مسك». الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٤٢٣/١٦ رقم ٧٤٠٨ وقال محققه: إسناده حسن. وبألفاظ متقاربة أورده السيوطي في الدر المنثور ٨/١ ولفظه: «أنهار الجنة تفجر من تحت جبال مسك» لابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث. قلت: ورواية للعقيلي في الضعفاء نقلها الزبيدي في الإتحاف ٥٣٢/١٠.

ونهرُ الفراتِ نهرُ الخمرِ في الجنة، ونهرُ سيحانٍ نهرُ الماءِ في الجنة^(١).

وقال بعضُ المفسِّرين في قوله تعالى: ﴿ أَنهْرٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾^(٢): قال كعبٌ في تفسيرِ هذه الآية: نهرُ دجلةَ نهرُ مائهم، ونهرُ الفراتِ نهرُ لبنهم، ونهرُ مصرَ نهرُ خمرهم، ونهرُ سيحانٍ نهرُ عسلهم. وهذه الأنهارُ تخرجُ من نهرِ الكوثر.

وفي كلامِ الإمامِ ابنِ حزمِ رحمه اللهُ تعالى: ليس المرادُ أن هذه الأنهارَ الموجودةَ في الأرضِ هي التي في الجنة، بل هذه أسماءُ أنهارٍ في الجنة، يقالُ لها النيل، والفرات، وسيحان، ودجلة، كاسمِ السلسيل، والكوثر.

وقد أطلتُ الكلامَ على ذكرِ أنهارِ الجنةِ، وعيونها، وما أعدَّ اللهُ تعالى لعبادهِ المؤمنينَ فيها، في كتابنا «بهجة الناظرين وآيات المستدلين»، فراجعهُ تظفرُ بالمراد^(٣).

* * *

وأما قوله تعالى: ﴿ كَلِمًا رُّزْقُوا مِنْهَا مِنْ شَمَرَةٍ رِّزْقًا ﴾ فقال النحويون:

«كلما» منصوبةٌ على الظرفيةِ باتفاق. وناصبُها الفعلُ الذي هو جواب. وهو هنا «قالوا». وجاءتُها الظرفيةُ من جهةِ «ما»، فإنها محتملةٌ لوجهين:

(١) الدر المنثور ٦/٢٥.

(٢) سورة محمد: الآية ١٥.

(٣) في (ظ): وقد أطلنا الكلامَ على ذكرِ أنهارِ الجنةِ وعيونها في غير هذا الموضع، والله أعلم.

أحدهما: أن تكون حرفاً مصدرياً، والجملة بعده صلة، فلا محلّ لها.
والأصل: «كلّ وقتٍ رزقي».

الثاني: أن تكون اسماً نكرة، بمعنى «وقت». فلا تحتاجُ على هذا إلى تقديرٍ وقت. والجملة بعده في موضعٍ خفضٍ على الصفة، فتحتاجُ إلى تقديرٍ عائد، أي: كلّ وقتٍ رزقوا فيه. ولهذا الوجهِ مُبَعَّدٌ، وهو ادّعاءٌ حذفِ عائِدِ الصفةِ وجوباً، حيثُ لم يردْ مصرّحاً به في شيءٍ من أمثلةِ هذا التركيبِ.

ومن هنا ضعف قولُ أبي الحسن الأخفش^(١) في نحو «أعجبنى ما قمّت»، أن «ما» اسم، والأصل «ما قمته»، أي: «القيام الذي قمته». وقولُه في «يا أيها الرجل» أن «أيا»^(٢) موصول، والمعنى: «يا من هو الرجل». فإن هذين العائدين لم يلفظَ بهما قط. ولو صحَّ ما ذكرَ لجازَ ذلك، لأن الأصل أن العائدَ يكونُ مذكوراً لا محذوفاً. وهنا مباحثُ آخرَ ليس هذا محلّها.

وقال المنطقيون: «كلما» تقتضي عمومَ الأفعال، كما أن «كل» تقتضي عمومَ الذوات.

وقال الخطّيون: «كلما» إذا كانت ظرفاً كُتبت «ما» معها متصلة، نحو: كلما جئتني أكرمتك، وكما هنا.

وإن كانت اسماً كُتبت منفصلة، نحو: كلُّ ما عندي لك. وكلُّ ما في الدنيا فإن.

و «كلما رزقوا» لا يخلو: إما أن يكونَ صفةً ثانيةً لـ «جنات»، أو خبرَ مبتدأ محذوف، أو جملةً مستأنفة.

(١) هو الأخفش الأوسط: سعيد بن مسعدة البصري، أبو الحسن، العالم اللغوي.
ت ٢١٥هـ.

(٢) هكذا في النسختين.

لأنه لَمَّا قِيلَ: «أَنْ لَهُمْ جَنَاتٌ» لَمْ يَخْلُ قَلْبُ السَّامِعِ أَنْ يَقَعَ فِيهِ: هَلْ ثَمَارُ تِلْكَ الْجَنَاتِ تُشْبِهُ^(١) أثمارَ الدُّنْيَا أَمْ أَجْناسٌ أُخْرَى؟

فَقِيلَ: إِنْ ثَمَارَهَا أَشْبَاهُ ثَمَارِ الدُّنْيَا، أَيْ أَجْناسُهَا أَجْناسُهَا، وَإِنْ تَفَاوَتْ إِلَى غَايَةٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. بَلْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَحَافِظُ زَمَانِهِ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ ثَبَتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ^(٢). وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا ﴿تَعَلَّمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٣). انْتَهَى.

و «مِنْ» الْأُولَى وَالثَّانِيَةَ^(٤) لِلْإِبْتِدَاءِ، وَاقْعَتَانِ مَوْقِعَ الْحَالِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: «كُلَّ وَقْتٍ رَزَقُوا مَرْزُوقًا مَبْتَدَأً مِنَ الْجَنَاتِ، مَبْتَدَأً مِنْ ثَمَرِهِ».

فصاحبُ الحالِ الأولى «رِزْقًا». وصاحبُ الثَّانِيَةِ ضميرُهُ المستكنُّ في الحالِ، فهو — كما قال الزمخشري — بمنزلة قولك: رزقني فلان. فيُقَالُ لك: مِنْ أَيْنَ؟ فتقول: مِنْ بستانِهِ. فيقال: مِنْ أَيِّ ثَمَرَةٍ رِزْقَكَ مِنْ بستانِهِ؟ فتقول: مِنَ الرِّمَانِ^(٥).

وتحريرهُ أَنْ الرِّزْقَ جُعِلَ مَبْتَدَأً مِنَ الْجَنَاتِ، وَالرِّزْقُ مِنَ الْجَنَاتِ مَبْتَدَأً مِنْ ثَمَرِهِ^(٦).

وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ عَادِلٍ: «مِنْهَا» مَتَعَلِّقٌ بِـ «رَزَقُوا»، وَكَذَلِكَ «مِنْ ثَمَرِهِ»، لِأَنَّهَا بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ «مِنْهَا» بَدَلُ اشْتِمَالٍ بِإِعَادَةِ الْعَامِلِ.

(١) فِي (ظ): كَسْبِهِ.

(٢) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ٢٧٧/٤، الدَّرُ الْمَشْهُورُ ٨٢/١، الزَّهْدُ لِهَنَادٍ ٤٩/١ رَقْمُ ٣.

(٣) سُورَةُ السَّجْدَةِ: الْآيَةُ ١٧.

(٤) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ﴾.

(٥) الْكِشَافُ ٢٦٠/١.

(٦) هَذَا تَابِعٌ لِقَوْلِ الزَّمْخَشَرِيِّ، أَوْرَدَهُ الْمُؤَلِّفُ بِإِيجَازٍ.

وجوّزَ الزمخشريُّ أن يكونَ «من ثمره» بياناً، على منهاجِ قولِكَ: رأيتُ منك أسداً^(١).

قال ابنُ عادل: وفيه نظر، لأن من شرطِ ذلك أن يحلَّ محلَّها الموصول، وأن يكونَ ما قبلها محلِّي بـ «ال» الجنسية، يعني كما في قوله تعالى: ﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾^(٢). وأيضاً فليس قبلها شيءٌ يتبيّنُ بها. وكونها بياناً لما بعدها بعيدٌ جدّاً، وهو غيرُ المصطلح عليه.

و «رزقاً» مفعولٌ ثانٍ لـ «رزقوا»، وهو بمعنى مرزوق. وكونه مصدراً بعيد، لقوله: ﴿هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾. والمتشابهُ هو المرزوق.

و «ثمره» جمعُ ثمرٍ، وجمعُ ثمرٍ ثمار، وجمعُ ثمارٍ ثمر — بضمِّ الميم وسكونها — وجمعُ ثمر أثمار.

وأثمارُ الجنةِ وأشجارُها كثيرة، لا يحيطُ بها إلا خالقُها.

قال ابنُ عباس — رضي اللهُ تعالى عنهما — في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾^(٣): ما في الدنيا ثمرةٌ حلوةٌ ولا مُرَّةٌ إلا وهي في الجنة، حتى الحنظل^(٤)!

وقال كثيرٌ من المفسِّرينَ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٥) أي بستانانِ من الياقوتِ الأحمرِ والزبرجدِ الأخضرِ، تراهُما

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة الحج: الآية ٣٠.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٥٢.

(٤) الدر المنثور ٦/٢٠٤، تفسير ابن كثير ٤/٢٧٧.

(٥) سورة الرحمن: الآية ٤٦.

الكافورُ والعنبر، ودقائقهما المسكُ الأذفر، كلُّ بستانٍ مائةُ سنة، وفي وسطِ
كلِّ بستانٍ دارٌ من نور، جنةٌ لخوفِ ربِّه، وجنةٌ لتركِ شهوته.

وعن ابن عباس رضي اللهُ تعالى عنهما: نخلُ الجنةِ ذهبٌ أحمرٌ،
وعروقُها زمردٌ أخضر، وثمرها كالقلال، أحلى من الشَّهد، وألين من الزبد،
لا عُجمَ^(١) لها^(٢).

وروى البيهقيُّ بسندٍ حسنٍ عن سلمان رضي اللهُ تعالى عنه، أنه أخذَ
عوداً صغيراً ثم قال: لو طلبتَ في الجنةِ مثلَ هذا العودِ لم تبصره.

قيل: فأين النخلُ والشجر؟

قال: أصولُها اللؤلؤُ والذهب، وأعلاهُ الثمر.

وروى سعيد بن منصور والبيهقيُّ عن البراء بن عازب - رضي اللهُ
تعالى عنه - في قوله تعالى: ﴿ وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلاً ﴾^(٣)، قال: إن أهلَ
الجنةِ يأكلون من ثمارِ الجنةِ قياماً، وقعوداً، ومضطجعين، على أيِّ حالٍ
شأوا^(٤).

وروي أيضاً عن مجاهدٍ قال: أرضُ الجنةِ من ورق، وترابها مسك،

(١) العُجم: نوى كل شيء. وفي (أ): «عجو»: وهو ما يخلط من التمر بعضه
ببعض. وما أثبت في المتن هو الصحيح، وموافق لما ورد في المصادر
المذكورة.

(٢) صفة الجنة لابن أبي الدنيا رقم ٥٠ وهو عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس.
ووقفت على هذا القول لسعيد بن جبیر أيضاً، كما في حلية الأولياء ٢٨٧/٤،
والزهد والرفائق لابن المبارك ص ٥٢٣ رقم ١٤٨٨.

(٣) سورة الإنسان: الآية ١٤.

(٤) الدر المنثور ٦/٤٨٦، الزهد والرفائق، ما رواه أبو نعيم ص ٦٧ رقم ٢٣٠، صفة
الجنة رقم ١١٥.

وأصول شجرها ذهب وورق، وأفنانها اللؤلؤ والزبرجد والورق، والشمار بين ذلك. فمن أكل قائماً لم تؤذه، ومن أكل مضطجعاً لم تؤذه، ومن أكل جالساً لم تؤذه: ﴿وَدُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلاً﴾^(١).

وفي تفسير القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾^(٢) أي ظلّ الأشجار قريب^(٣) من الأبرار، فهي مُظَلَّةٌ عليهم زيادةً في نعيمهم، وإن كان لا شمس هناك ولا قمر، كما أن أمشاطهم الذهب والفضة وإن كان لا وسخ فيه ولا شعث.

ثم يقال: إن ارتفاع الأشجار في الجنة مقدار مائة عام. فإذا اشتهى وليُّ الله ثمرتها تدانت منه حتى يتناولها.

وقال: «وَدُلَّتْ» أي سُخِّرَتْ لهم قُطُوفُهَا. «تذليلاً» أي تسخيراً، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

قال مجاهد: إن قام أحدٌ ارتفعت له، وإن جلس تدلّت^(٤) عليه، وإن اضطجع دنت منه فأكل منها^(٥).

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إذا همّ أن يتناول من ثمراتها تدلّت^(٦) إليه حتى يتناول منها ما يريد^(٧).

(١) الدر المنثور ٦/٤٨٧، صفة الجنة رقم ٥١، الزهد والرقائق، ما رواه أبو نعيم رقم ٢٢٩، تفسير ابن كثير ٤/٤٥٦.

(٢) سورة الإنسان: أول الآية ١٤.

(٣) في النسختين: قريبة. والتصحيح من القرطبي.

(٤) في (ظ): تدلّت.

(٥) تفسير ابن كثير ٤/٤٥٦، الدر المنثور ٦/٤٨٧، صفة الجنة ١١٤.

(٦) في (ظ): نزلت.

(٧) ينظر الدر المنثور ٦/٢٠٤.

وتذليلُ القُطوفِ هو تسهيلُ التناول^(١)، رزقنا اللّهُ ذلكَ بمَنِّهِ وكرمه .
آمين .

* * *

وأما قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ ففي الكشاف
للزمخشري: فإن قيل: كيف قيل: «هذا الذي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ»؟ وكيف تكونُ
ذاتُ الحاضرِ عندهم في الجنّةِ هي ذاتُ الذي رُزِقُوهُ في الدنيا؟

قلت: إن معناه: هذا مثلُ الذي رُزِقناه مِنْ قَبْلُ وشبههُ، بدليلِ قوله
تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ بِهِ مُتَشَبِهَاتٌ﴾. وهذا كقولك: أبو يوسفَ أبو حنيفة؛ لاحتكامِ
الشبه^(٢)، كأن ذاته ذاتهُ^(٣).

وقيل: مبنيٌّ على الضمِّ لأنه حذفَ المضافَ إليه ونوى ثبوتَ
معناه .

قال النحاس^(٤): واختلفَ النحويون في علّةِ ضمِّ «قبلُ» و «بعدُ» على
بضعةَ عشرَ قولاً. وليس هذا محلّه .

وقوله: «رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ» فيه ثلاثةُ أقوالٍ للمفسرين:

أحدها: أن المعنى: هذا الذي طُعِمْنَا مِنْ قَبْلُ . يعني في الجنّة . فرزقُ
الغداةِ كرزقِ العَشِيِّ . وهو مروئيٌّ عن ابنِ عباس رضي اللّهُ تعالى عنهما
والضحاك ومقاتل، لأن طعامَ الجنّةِ متشابهُ الصور، كما يُحكى عن الحسن
رضي اللّهُ تعالى عنه أن أحدهم يُوتى بالصّحفةِ فيأكلُ منها، ثم يوتى بأخرى

(١) ما سبق في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣٩/١٩ - ١٤٠ .

(٢) في الكشاف: تريد أنه لاستحكام الشبه .

(٣) الكشاف ١/٢٦٠ - ٢٦١ .

(٤) المفسر النحوي أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر النحاس . ت ٣٣٨ .

فيراها مثل الأولى، فيقول ذلك، فتقول له الملائكة: كُلْ، فاللون واحدٌ والطعمُ مختلفٌ^(١).

الثاني: «هذا الذي رُزقنا من قبل» يعني في الدنيا. قاله ابن مسعود وابن عباس أيضاً وقتادة ومجاهد وابن زيد. أي: قالوا: هذا الذي رُزقنا من ثمرات الجنة مثل الذي كُنَّا رُزقناه من ثمار الدنيا. أي في الصورة والاسم. وإلاً فقد ثبت عن ابن عباس أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلاّ الأسماء^(٢). كما تقدّم^(٣).

وإنما جعلَ ثمرَ الجنةِ كثمارِ الدنيا لتميلَ النفسُ إليه حين تراه، فإن الطباعَ مائلةٌ إلى المألوف، نافرةٌ عن غيرِ المعروف. وبيانه: أن الإنسانَ بالمألوفِ آنس، وإلى المعهودِ أميل، وإذا رأى ما لم يألفه نفرَ عنه طبعه وعافته نفسه، ولأنه إذا ظفرَ بشيءٍ من جنس ما سلفَ له به عهدٌ، وتقدّمَ له معه إلفٌ، ورأى فيه مزيةً ظاهرةً، وفضيلةً بيّنةً، وتفاوتاً بينه وبين ما عهدَ بليغاً؛ أفرطَ ابتهاجهُ واعتباطه، وطالَ استعجابُه واستغرابه^(٤)، وتبيّنَ له كُنْهُ النعمةِ فيه، وتحقّقَ مقدارُ الغبطةِ به. ولو كان من جنس لم يعهده^(٥) — وإن كان فائقاً — حسبَ أن ذلك الجنس لا يكونُ إلاّ كذلك، فلا يتبيّنُ موقعَ النعمةِ حقَّ التبيّن، بخلاف ما إذا رأوا^(٦) شيئاً فائقاً من جنس ما رأوه سابقاً، فيكونُ ذلك أبينَ للفضل، وأظهرَ للمزية، وأجلبَ للسُرور، وأزيدَ في التعجّبِ من أن يُفاجأوا بذلك الشيء من غيرِ عهدٍ سابق.

(١) تفسير الطبري ١/١٣٣، الدر المشور ١/٨٣.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) انظر ص ٥٥.

(٤) في (أ): واستعذابه.

(٥) في (ظ): ولو كان جنساً لم يعده.

(٦) في (ظ): أرادوا.

الثالث: أن ثمر الجنة إذا جُنِيَ خَلَفَهُ مثلهُ، فإذا رأوا ما خَلَفَ المجنِيَّ اشتبهَ عليهم، فقالوا: «هذا الذي رُزقنا من قبل». قاله (١) يحيى بن أبي كثير (٢)، وأبو عبيدة (٣).

قال أبو عبيدة: إن نخل الجنة نضيد، ما بين أصله إلى فرعِهِ، وثمرها كأمثالِ القلال، كلما نُزعتْ ثمرةٌ عادتْ مكانها أخرى (٤).

لطيفة: روى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه

قال:

ما من عبدٍ يسبحُ اللهَ تسبيحةً، أو يحمدهُ تحميدةً، أو يكبرهُ تكبيرةً، إلا غرسَ اللهُ له بها شجرةً في الجنة، أصلها من ذهب، وأغلاها من جوهر، مكلَّلةٌ بالدرِّ والياقوت، ثمارها كُثْدِيَّ الأبقار، ألينُ من الزبد، وأحلى من العسل، كلما جنى منها شيئاً عادَ مكانهُ مثلهُ. ثم تلا: ﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾ (٥) (٦).

* * *

(١) في الأصل: قال. وقد أورد قولهما استنتاجاً. ينظر تفسير الطبري ٣٣/١، الدر

المنثور ٨٣/١، تفسير ابن كثير ٦٣/١.

(٢) أبو نصر يحيى بن صالح بن أبي كثير اليمامي. عالم مشهور.

ت ١٢٩هـ.

(٣) هو معمر بن المثنى البصري النحوي. من أئمة العلم. ت ٢٠٩هـ.

(٤) تفسير الطبري ١٣٣/١، صفة الجنة رقم ٤٨. والقلال جمع قلة، وهي الجرة الضخمة.

(٥) سورة الواقعة: الآية ٣٣.

(٦) رواه الطبراني في الأوسط موقوفاً على أبي هريرة، وفيه سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٨٩/١٠. وفيه «يسبح الله».

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ فالظاهر أنها جملة مستأنفة.
وكلامُ الزمخشري يُشعرُ بأنها معترضة^(١). وقيل: هي عطفٌ على «قالوا».

و«أتوا» بالبناء للمجهول في قراءة العامة، بمعنى: جيئوا به.

وقرأ هارون بن موسى^(٢) «وَأَتُوا» بفتح الهمزة، بالبناء للفاعل. أي
الخدم والولدان أتوا بالرزق.

و«متشابهاً» منصوبٌ على الحال من الضمير في «به» العائد على
الرزق، بمعنى المرزوق.

و«المتشابه» من الشَّبهِ والشَّبه، وهما كالمثَلِ والمِثْلِ.

والتشبيهُ التمثيل، والمشابهةُ المماثلة، والأمورُ المتشابهات:
المشكلات. والمتشابه: المتماثل.

وحقيقةُ المتشابه الذي فيه شبهٌ من غيره، حتى يكاد^(٣) لا يتميزُ منه.

وفي قوله تعالى هنا «متشابهاً» أربعةُ أقوالٍ للمفسرين:

أحدها: أنه متشابهٌ، أي متماثلٌ في المنظرِ واللون، مختلفٌ في
الطعم. قاله ابنُ عباس وابن مسعود ومجاهد والربيع بن أنس وأبو العالية
والضحاك والسدي ومقاتل^(٤).

(١) ينظر الكشاف ١/٢٦١.

(٢) هارون بن موسى الدمشقي. الأخفش الدمشقي، أو أخفش باب الجابية. شيخ
القراء بدمشق. ت ٢٩٢هـ.

(٣) في الأصل: تكاد.

(٤) أبو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي المقرئ المفسر. ت ٩٣هـ. والضحاك
هو ابن مزاحم البلخي الخراساني، مفسر، من أشرف المعلمين وفقهائهم.
ت ١٠٥هـ.

الثاني: أنه متشابه، أي متماثلٌ في جودته، لا رديء فيه ولا فاسدٌ ولا متغيّر، بل كلُّه خيارٌ يُشبهُ بعضه بعضاً. قاله الحسن وقتادة وابن جريج^(١).

الثالث: أن التشابه إنما هو في الأسماء فقط دون الألوان والطعوم. قاله أبو زيد^(٢) والأشجعي^(٣). فلا تشبه ثمارُ الجنة شيئاً من ثمار الدنيا في لونٍ ولا طعم، وإنما تتفقُ أساميها لا غير. وفي ذلك ترغيبهم في وجود لذاتٍ لم يعهدوها ولم يقفوا على غايتها.

الرابع: أنه يُشبهُ ثمارَ الدنيا في الخلقة والاسم والطعم، غير أنه أحسنُ في المنظر والمطعم. قاله قتادة وابن زيد ويحيى بن سعيد ومحمد بن كعب ومجاهد أيضاً. وفي ذلك ترغيبهم في طلب ما عرفوه في الدنيا بلونه وطعمه، وزيادة نشاطٍ لهم، حيث وجدوا ما اتفقت صورها وتفاوتت معانيها^(٤).

فإن قيل: فما وجه الامتنان بتشابهه وكلما تنوعت المطاعمُ واختلفت ألوانها كان أحسن؟

والجواب: ما مرَّ من أنه متشابهٌ في المنظرٍ مختلفٍ في الطعم، وما كان كذلك كان أغربَ عند الخلق وأحسن. فإنك لو رأيتَ تفاحةً فيها طعمٌ سائر الفواكه كان نهايةً في العجب.

(١) ابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز. فقيه الحرم المكي. ت ١٥٠هـ.

(٢) هكذا في الأصلين، ولعله «ابن زيد» كما يأتي بعد سطور، ويعني عبد الرحمن، صاحب التفسير.

(٣) لعلَّ المقصود بالأشجعي عبيد الله بن عبد الرحمن الكوفي الحافظ. سمع من هشام بن عروة وجماعة. وقال: سمعت من سفيان الثوري ثلاثين ألف حديث. ت ١٨٢هـ. شذرات الذهب ٢/٣٦٥.

(٤) تنظر هذه الأقوال موزعة في تفسير الطبري ١/١٣٣ - ١٣٤، تفسير ابن كثير ١/٦٣، الدر المنثور ١/٨٣.

وإن قلنا إنه متشابه في الجودةِ جازَ اختلافه في الألوانِ والطعومِ .
وإن قلنا إنه يشبهُ صورةَ ثمارِ الدنيا مع اختلافِ المعاني كان أظرفَ
وأعجب . وكلُّ هذه مطالبُ مؤثرة . والله أعلم .

* * *

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ ﴾ فأزواجُ جمعُ زوج . وهو لغةُ
البعل . ويُطلقُ على الذكرِ والأنثى كما يأتي .

ويُطلقُ أيضاً على الذكرِ والأنثى من كلِّ حيوان ، قال تعالى :
﴿ فَاسْأَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ (١) .

وعلى الشفعِ من كلِّ شيء ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا
زَوْجَيْنِ ﴾ (٢) .

وعلى الصنف ، قال تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ (٣) .

واللون ، قال تعالى : ﴿ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيْجٌ ﴾ (٤) أي لونٍ حسن .

والقرين ، قال تعالى : ﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ (٥) .

قال الفراء : أهلُ الحجازِ يقولون لامرأةِ الرجلِ زوج ، ويجمعونها
أزواج . يعني : وهذه هي اللغةُ الفصيحةُ التي جاء بها القرآن . وتميمٌ وكثيرٌ
من قيس . وأهلُ نجدٍ يقولون زوجة ، [ويجمعونها على زوجات] (٦) .

(١) سورة المؤمنون : الآية ٢٧ .

(٢) سورة الذاريات : الآية ٤٩ .

(٣) سورة الواقعة : الآية ٧ .

(٤) سورة ق : الآية ٧ .

(٥) سورة الصافات : الآية ٢٢ .

(٦) ما بين المعقوفتين لم يرد في (أ) .

أنشد أبو الجراح^(١):

يا صاحِ بلِّغْ ذوي^(٢) الزوجاتِ كلِّهمْ أنْ ليس وصلٌ إذا انحلتْ عُرى الذنبِ
وزعمَ الأصمعيُّ أن العربَ لا تكادُ تقولُ زوجةً!

وفي «تهذيب الأسماء واللغات»: «أهلُ نجدٍ يقولون: «زوجة» للمرأة،
وأهلُ مكةَ والمدينةَ يتكلمونَ بذلك أيضاً^(٣)».

وثبتَ في صحيحي البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفةِ
أهلِ الجنة:

«لكلِّ واحدٍ منهم زوجتان»^(٤).

هكذا هو في الصحيحين بالتاء.

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال:

«هذه زوجتي فلانة» يعني صفيّة، في حديثه الطويل الذي قال

فيه:

(١) هكذا في الأصل. ولعله «ابن الجراح»: أبو الخطاب علي بن عبد الرحمن بن
هارون البغدادي الكاتب. إمام كبير مقرئ. وله شعر في أعلى درجة.
ت ٤٩٧ هـ. سير أعلام النبلاء ١٩/١٧٢.

(٢) في (ظ): أبو.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٣/١٣٧.

(٤) حديث أوله: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر...» صحيح
البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة أهل الجنة ٤/٨٦، صحيح
مسلم، كتاب الجنة، باب في صفات الجنة وأهلها ٨/١٤٧. وفي المصدر
الأخير نفسه، باب أول زمرة تدخل الجنة ٨/١٤٥ - ١٤٦ أوله بلفظ: «إن أول
زمرة تدخل الجنة على صورة القمر...».

«إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»^(١).

والمعنى هنا: ولهم في الجنات زوجات، وهن نساء الدنيا، وحور الجنة جميعاً؛ لیتّم لهم بذلك الأنس والبسط والراحات، وتهناً لهم الجنة والأطعمة والأشربة والكرامات.

وقوله سبحانه: «أزواج» بصيغة الجمع، فيه إشارة إلى تعدد الأزواج في الجنة. وهو كذلك، لما روى الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنهم تذاكروا: الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال: ألم يقل رسول الله ﷺ:

«ما في الجنة أحدٌ إلا له زوجتان؟ إنه ليرى مع ساقيهما من وراء سبعين حُلّةً، ما فيها عَزَبٌ»^(٢).

-
- (١) قوله ﷺ: «يا فلان هذه زوجتي فلانة». وفي الحديث الطويل التالي: «على رسلكما إنها صفة بنت حبي». صحيح مسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة وكانت زوجته ٨/٧.
- (٢) ليس في الصحيحين بهذا اللفظ، وقد نقله المؤلف من الدر المنثور ٨٤/١ لأحمد والبخاري ومسلم والبيهقي في البعث. فلعله من لفظ الأخير. كما رواه بهذا اللفظ الدارمي في سننه ٣٣٦/٢. وورد في الأصل: «إلا وله... ساقها». والتصحيح منهما. إنما ورد في صحيح مسلم عن أيوب عن محمد قال: إنا تفاخروا وإنا تذاكروا: الرجال في الجنة أكثر أم النساء، فقال أبو هريرة: أولم يقل أبو القاسم ﷺ: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مع شوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب». صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب أول زمرة تدخل الجنة ٨/١٤٥ - ١٤٦، والمصدر السابق من صحيح البخاري - وليس في الأخير حكاية أوله - . وروى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد رفعه: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء، لكل رجل منهم زوجتان، على =

وروى الترمذي وصححه والبخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «يَزْوُجُ الْعَبْدُ فِي الْجَنَّةِ بِسَبْعِينَ زَوْجَةً».

قيل: يا رسول الله، أيطيقها؟

قال: «يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ»^(١)!

وروى إمامنا أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء»^(٢).
جعلنا الله من أهل الجنة. آمين.

* * *

كل زوجة سبعون حلة يبدو مُحُّ ساقها من ورائها». سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب منه ٦٧٠/٤ رقم ٢٥٢٢، وقال: حديث حسن صحيح. وآخر عن أبي سعيد أيضاً في باب صفة نساء أهل الجنة ٦٧٧/٤ رقم ٢٥٣٥ من كتاب صفة الجنة، وقال: حديث حسن.

(١) لفظه: «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع». قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: «يعطى قوة مائة». سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة ٦٧٧/٤ باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة رقم ٢٥٣٦ وقال: حديث صحيح غريب. وصححه في صحيح الجامع الصغير ٨١٠٦. ونقل المؤلف لفظه من الدر المنثور ٨٤/١. ويبدو أنه من لفظ البخاري. والله أعلم.

(٢) رواه أحمد في المسند ٧٦/٣ وهذا لفظه. وهو في سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء لأدنى أهل الجنة من الكرامة ٦٩٥/٤ رقم ٢٥٦٢، وقال: حديث غريب. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٢٦٦ وأوله: «أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم...». ورواه ابن المبارك في الزهد والرفائق (ما رواه أبو نعيم) رقم ٤٢٢.

وأما قوله تعالى: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ فهذه هي قراءة الجمهور.

وقرأ ابن مسعود وزيد بن علي: «مطهَّرات»، لأنه نعتٌ للنسوة. وهي جمعٌ زوج.

وهما لغتانٍ فصيحتان. يقال: النساءُ فعَلْنَ، وهنَّ فاعلاتٌ وفواعلٌ، والنساءُ فعلتٌ، وهي فاعلة. فالجمعُ على اللفظ، والإفرادُ على تأويلِ الجماعة، أي: جماعة أزواجٍ مطهَّرة.

ولغة^(١) الجمهورِ أفصح، لأن الأكثرَ المسموعَ من العربِ في نعتِ الجمعِ القليلِ الألفُ والتاء، وفي نعتِ الجمعِ الكثيرِ الهاءُ وحدها. يقال: أَحْمَرُ مُسْتَنْفَرَاتٍ، و﴿حُرْمُ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾^(٢)، وبيوتٌ خاوية^(٣).

ولم يقل «طاهرة» لما قال الزجاجُ وغيره: إن «مطهَّرة» أبلغ من «طاهرة» لأنه للتكثير.

وفي الكشاف: فإن قلت: فهلاً قيل: طاهرة؟ قلت: في «مطهَّرة» فخامةٌ [لصفتهم] ليست في «طاهرة»، وهي الإشعارُ بأن مُطَهَّرًا طَهَّرَهُنَّ، وليس ذلك إلا اللُّهُ عَزَّ وَجَلَّ، المريدُ بعباده الصالحين أن يخولهم كلَّ مزيَّةٍ فيما أعدَّ لهم^(٤). انتهى.

و «الطهارة»: النظافةُ والنزاهة^(٥)، والفعلُ منها طَهَّرَ بالفتح، ونُقِلَ الضمُّ. واسمُ الفاعلِ منها: طاهر.

(١) في (ظ): وقراءة.

(٢) سورة المدثر: الآية ٥٠.

(٣) هكذا توقف هنا في النسختين، وتكلمته: وبيوتات خاويات.

(٤) الكشاف ١/٢٦٢. وما بين المعقوفتين زيادة منه.

(٥) «النزاهة» لم ترد في (ظ).

والطهارةُ خلافُ الدَّنَسِ .

والتطهيرُ: التنزُّهُ عن الإِثْمِ والقُبْحِ .

واختلَفَ في تطهيرِ نساءِ الجنةِ :

– فقيل: مطهَّراتُ الأبدانِ في الخَلْقِ، هُنَّ من المسكِ والكافورِ
والعنبرِ والزعفرانِ، لا من الترابِ والمنيِّ والعلَقَةِ .

– وقيل: مطهَّراتُ الأبدانِ في الحالِ . فليس تحت الجلودِ دمٌ
ولا قيح، ولا في البطونِ ما في بطونِ البشرِ^(١) .

– وقيل: مطهَّراتُ الأبدانِ عن الأمراضِ والأعراضِ من الورمِ والدَّرَنِ
والصُّدَاعِ وسائرِ الأوجاعِ .

– وقيل: مطهَّراتُ الأبدانِ عن الولادةِ .

– وقيل: مطهَّراتُ الأبدانِ عمَّا يخرجُ منها من بولٍ أو منيٍّ أو غائطٍ
أو حيضٍ أو نفاسٍ أو مُخاطٍ أو بلغمٍ .

– وقيل: مطهَّراتُ الأفعالِ . فلا يصاخبُنَ، ولا يجادلُنَ،
ولا يعترضُنَ، ولا يعرضُنَ، ولا يغلظُنَ القولَ، ولا يُسئِنَ الفعلَ،
ولا ينشزُنَ .

– وقيل: مطهَّراتُ الأخلاقِ، فلا يحسدُنَ، ولا يحقدُنَ، ولا يبغضُنَ،
ولا يَغِرُنَ^(٢) .

(١) قال ناسخه معلقاً في الحاشية: قوله: «ما في بطون البشر» أي في الدنيا. وأما في الآخرة فلا يبقى في بطون البشر فضلات ولا قدر. وورد في (ظ): «بطون نساء البشر» .

(٢) من الغيرة .

– وقيل: مطهّراتٌ من استرايةِ القلوبِ بهنّ^(١)، فلا يملنَ إلى غير أزواجهنّ، ولا يقَعُ في قلوبِ الرجالِ ما ينقُرُ طباعَهُم عنهنّ^(٢).

قلت: كلٌّ من هذه الأقوالِ صحيحٌ في حقهنّ. رزقنا اللّهُ أزواجاً منهنّ مطهّراتٍ من الغائِطِ والبولِ والحِيضِ والنفاسِ والدّرَنِ والمخاطِ والبُزاقِ والمنيِّ والقيءِ والولِدِ ودنَسِ الطبعِ وسوءِ الخُلُقِ، وكلُّ قَدَرٍ ودنَسٍ.

وقال ابن عباس رضي اللّهُ تعالى عنهما: «مطهّرةٌ نقيّةٌ من القَدْرِ والأذى^(٣)».

وفي الحديث، في قوله تعالى سبحانه: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾^(٤): «خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ، حِسَانُ الْوُجُوهِ»^(٥).

ويروى^(٦): لَسَنَ بَذَرِيَّاتٍ، وَلَا دَفَرَاتٍ^(٧)، وَلَا فَجَرَاتٍ، وَلَا مَتَطَلَّعَاتٍ، وَلَا مَتَشَرَّفَاتٍ، وَلَا مَتَسَلِّطَاتٍ، وَلَا مَائِلَاتٍ، وَلَا طَوَّافَاتٍ فِي الطَّرِيقِ، وَلَا يَغْرَنَ، وَلَا يُؤْذِنَ.

(١) في (ظ): عن استراية لقلوبهنّ.

(٢) تنظر هذه الأقوال أو بعضها في تفسير الطبري ١/١٣٦ – ١٣٧، الدر المنثور ١/٨٣ – ٨٤، روح المعاني ١/٣٢٧ – ٣٢٨.

(٣) تفسير الطبري ١/١٣٧، الدر المنثور ١/٨٣، تفسير ابن كثير ١/٦٣.

(٤) سورة الرحمن: الآية ٧٠.

(٥) رواه الطبري في تفسيره ٢٧/٩٢. وهو من حديث طويل لأم سلمة رضي الله عنها، قال فيه الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه... وفي إسنادهما سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف. مجمع الزوائد ١٠/٤١٨، ٧/١١٩. وانظر تخريج الحديث التالي.

(٦) في (ظ): وفي الحديث.

(٧) دَفَرُ الشَّيْءِ: خَبِثَتْ رَائِحَتُهُ.

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: لا مَرَحَاتٌ^(١)، ولا طَمَاحَاتٌ، ولا بَخْرَاتٌ^(٢)، ولا دَفْرَاتٌ. ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾^(٣)، ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَّكَوْنٌ﴾^(٤).
وقال الأوزاعي: «خيراتٌ»: لسنّ بذريات اللسان، ولا يَغْرُنْ، ولا يؤذِنُ^(٥).

وفي حديث أم سلمة رضي الله تعالى عنها من رواية الطبراني: «يَقْلُنَ: ألا نحن الخالدات، فلا نموتُ أبداً. ألا ونحن الناعمات، فلا نبأسُ أبداً. ألا ونحن المقيماتُ، فلا نظمنُ أبداً. ألا ونحن الراضياتُ، فلا نسخطُ أبداً. طوبى لمن كتأله وكان لنا»^(٦).

وروى الطبراني بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط. إن مما يغنين: نحن الخيراتُ الحسان، أزواج قوم كرام، لينظرن بقرّة

(١) من مَرِح: إذا تبخرت واختال. وفي المصدرين التالين «مراحات». ومراحي جمع

مَرِح.

(٢) البَخْر: الرائحة الكريهة من الفم.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٢٢.

والخبر في الدر المنثور ٢١١/٦، وصفة الجنة رقم ٣١٣.

(٤) سورة الصافات: الآية ٤٩.

(٥) الدر المنثور ٢١١/٦، الزهد والرفائق لابن المبارك رقم ١٥٣٩.

(٦) هذا تابع للحديث المخرج سابقاً، من حديث أم سلمة الطويل، وأوله:

يا رسول الله، أخبرني عن قول الله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قال: «حور بيض

عين ضخام العيون...». رواه الطبراني في الكبير ٢٣/٣٦٧ رقم ٨٧٠، وقال فيه

الهيثمي: فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي. مجمع الزوائد

١١٨/٧ - ١١٩.

أعيان]. وإن مما يغنين: نحن الخالداتُ فلا نَمُتُّنَه، نحن الآمِنَاتُ فلا نَخَفُنَه، نحن المقيماتُ فلا نَظَعُنَه»^(١).

وروى إمامنا أحمد وابن حبان والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّ الْيَأْقُوتَ وَالْمَرْجَانَ﴾^(٢) قال:

«ينظرُ إلى وجهه في خدِّها»^(٣)، أصفى من المرأة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مَخَّ ساقها من وراء ذلك»^(٤).

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير ١/٢٦٠ من حديث ابن عمر، وما بين المعقوفين منه. وفي آخره: «فلا يظعن». وورد في النسختين: «ما سمعها». والتصحيح منه. وقال: لم يروه عن زيد بن أسلم إلا محمد تفرد به ابن أبي مريم. وقال فيه الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ١٠/٤١٩. وكذا قال في الترغيب والترهيب ٤/٥٣٨. وصححه في صحيح الجامع الصغير ١٥٦١. قلت: وللترمذي رواية قريبة عن علي رفعه برقم ٢٥٦٤.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٥٨.

(٣) في النسختين: «وجهها.. خدرها». والتصحيح من الترغيب والمستدرک.

(٤) نقله المؤلف من الترغيب والترهيب ٤/٥٣٤ من لفظ البيهقي في البعث. ولفظه في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٦/٤١٠ رقم ٧٣٩٧: «إن الرجل في الجنة ليتكىء سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه المرأة فتقرب منه، فينظرُ في خدِّها أصفى من المرأة، فتسلَّم عليه فيردُّ السلام، ويسألها: من أنت؟ فتقول: أنا من المزيدي. وإنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مَخَّ ساقها من وراء ذلك. وإن عليهن التيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب». وقال محققه: إسناده ضعيف. وأوله عند أحمد ٣/١٦: «إن أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم...» وفي آخره: «... على كل =

وروى الطبراني والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم من تحت سبعين حلة، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج البيضاء^(١).

وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بصقت في سبعة أبحر لكانت تلك الأبحر أحلى من العسل^(٢)!

وروى البزار والطبراني عن سعيد بن عامر بن حذيم رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت لملاّت الأرض ريح مسك، ولأذهبت ضوء الشمس والقمر»^(٣).

فثبت بذلك أنهم مطهّرات، وأي مطهّرات!

لطيفة: اختلف المفسّرون في تسميتهنّ بالحور العين.

فقال مجاهد: سميت حوراً لأنه يحارّ فيها الطرف، باد مخ ساقها من وراء ثيابها، فينظر الناظر وجهه في كبد إحداهنّ كالمرآة من رقّة الجلد، وصفاء اللون^(٤).

= زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء لحومها ودمها وحللها». وباللفظ الذي أورده المؤلف موافق للمستدرک أيضاً ٤٧٥/٢ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: دراج صاحب عجائب!

(١) الدر المثور ٢٠٦/٦.

(٢) المصدر السابق ٨٥/١، صفة الجنة لابن أبي الدنيا رقم ٢٩٣. وقال محققه: في سنده حفص بن عمر العدني ضعيف.

(٣) قال الحافظ المنذري: الحديث رواه الطبراني والبزار وإسناده حسن في المتابعات. الترغيب والترهيب ٥٣٣/٤.

(٤) الدر المثور ٧٥٣/٥.

وقال مكي: سُمِّيَ نساءُ الجنةِ بالحوَرِ لبياضِهِنَّ، ومنه قيلٌ للدقيقِ الحَوَارِي. ومنه الحَوَارِيُّونَ لبياضِ ثيابهم.

قال: والحَوَرُ في العينِ هو شدَّةُ سوادِ الحدقةِ مع بياضِ ما حولها. والعَيْنُ هُنَّ الكبيراتُ الأعين، يقال: امرأةٌ عينا، ورجلٌ أعين.

تنبيهه: قد ظهرَ مما قررناه من الأحاديثِ وغيرِها أن الحَوَرَ كالآدمياتِ، من لحمٍ وعظمٍ ومخٍّ وساقٍ وغيرِ ذلك. وهذا أدعى للشهوةِ، وأقربُ للذةِ، فإنَّ الطَّبَاعَ مائلةً إلى المعروفِ، نافرةٌ عن غيرِ المألوفِ. وقد سُئِلْتُ عن هذا فأفتيتُ بهذا. واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

وأما قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١٥﴾ فاعلم أن مجاميع اللذات: إما المسكن، وإما المطعم والمشرب، وإما المنكح.

فوصفَ تعالى المسكنَ بقوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

والمطعمَ بقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾.

والمنكحَ بقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾.

ثم هذه الأشياءُ إذا حُصِّلَتْ وقارنَها خوفُ الزوال، كان النعيمُ منغصاً، والعيشُ مكدرًا^(١). فبيَّنَ تعالى زوالَ هذا الخوفِ بقوله سبحانه: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١٥﴾.

فدلَّتِ الآيةُ على كمالِ النعيمِ والسرورِ، ومزيدِ النعمةِ والحبورِ؛ لأنَّ الخلودَ هنا هو البقاءُ الدائمُ الذي لا انقطاعَ له ولا غايةَ لمنتهاه^(٢).

(١) هذه الجملة لم ترد في (ظ).

(٢) وكذا هذه لم ترد في (ظ).

وهل يطلقُ الخلودُ على ما لا نهايةَ له ولا انقطاعَ بطريقِ الحقيقةِ
أو المجاز؟ قولان:

قالتِ المعتزلة: الخلدُ هو الثباتُ اللازمُ والبقاءُ الدائمُ الذي لا ينقطع.
واحتجُّوا على ذلك بالآيةِ وغيرها.

وقال ابن الخطيب: قال أصحابنا: الخلدُ هو الثباتُ الطويل، سواءً
أدامَ أم لم يَدُم. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾^(١)، ولو كان
التأييدُ داخلًا في مفهومِ الخلدِ لكان ذلك تكراراً^(٢).

وقال بعضهم: حقيقةُ الخلودِ الدوامُ من وقتِ الابتداءِ، ولهذا لا يجوزُ
أن يُقالَ لله تعالى إنه خالد، لأنه قديمٌ أزليٌّ لا ابتداءَ له.

والبقاءُ الأبدِيُّ في الجنةِ لأهلها [وفي النارِ لأهلها]^(٣) هو قولُ جميع
أهلِ الإسلام، [لأن الخلودَ هو البقاءُ الدائمُ الذي لا انقطاعَ له]^(٤)، فقد دلَّتِ
الآياتُ القرآنيَّةُ والأحاديثُ النبويَّةُ على خلودِ أهلِ الجنةِ فيها أبداً، وعلى
ذلك إجماعُ أهلِ السنَّةِ والجماعة. وأجمعوا على أن عذابَ الكفارِ لا ينقطع،
كما أن نعيمَ أهلِ الجنةِ لا ينقطع. يدلُّ على ذلك الكتابُ والسنةُ وإجماعُ
الأمَّة، خلافاً للجهمية، حيث ذهبوا إلى أن الجنةَ والنارَ تفنيانِ ويفنى أهلها.
وخلافاً لأبي الهذيل المعتزلي^(٥) وموافقيه، حيث قالوا: ينقطعُ عذابُ

(١) سورة النساء: الآية ٥٧.

(٢) علق ناسخه تعليقة جيدة فقال: أقول لك أن يمنع كونه تكراراً على
هذا التقدير لاحتمال كونه يدفع توهم المجاز عن طول المكث. فتأمل.
كاتبه.

(٣) ما بين المعقوفين لم يرد في (أ).

(٤) لم يرد في (أ).

(٥) محمد بن الهذيل العلاف. من أئمة المعتزلة. ت ٢٣٥هـ.

الكفار وله غايةٌ ونهاية. واحتجُّوا على ذلك بالمنقول والمعقول، فاحتجُّوا من القرآن بآيات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾^(١) فدلَّ هذا النصُّ على انقطاع عذابهم، لأن مدة السماوات والأرض متناهية، فلزم أن تكون مدة العقاب منقطعة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾^(٢) استثناءً من مدة عذابهم^(٣). وذلك يدلُّ على الزوال.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾^(٤). فبيَّن تعالى أن لبثهم في العذاب لا يكون إلاً أحقاباً معدودة.

وأما المعقول فوجهان:

أحدهما: أن معصية الكافر متناهية، ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب ما لا نهاية له ظلم، وهو على الله تعالى محال^(٥).

ثانيهما: أن العقاب ضررٌ خالٍ من النفع، فيكون قبيحاً، لأن ذلك

(١) سورة هود: الآيتان ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) سورة هود: الآية ١٠٧.

(٣) في (ظ): عقابهم.

(٤) سورة النبأ: الآية ٢٣.

(٥) علق ناسخه بقوله: قوله: «ظلم» ممنوع، لأن الله تعالى يتصرف في ملكه كيف يشاء، فجميع ما يصدر عنه سبحانه إما فضل وإما عدل. وأيضاً يخلد الكافر في العذاب في مقابلة نيته، لأن نيته الدوام على الكفر ولو بقي الأبد، فجوزي بعذاب الأبد، كما صرح به بعضهم. والمؤمن نيته البقاء على الإيمان كذلك، فجوزي بالنعيم المؤبد، فضلاً من الله ونعمة. كاتبه.

النفع لا يرجع إلى الله تعالى لتعالیه عن النفع والضرر، ولا إلى العبد لأنه ضرر محض، ولا إلى أهل الجنة لأنهم مشغولون ب لذاتهم، فلا فائدة لهم في الالتذاذ بعقاب دائم في حق غيرهم، بل القلوب الرحيمة تتألم بذلك غاية التألم كما هو مشاهد.

وقد بينتُ شبههم والرد عليهم في مؤلف لطيف وسميته «توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين». وأيضاً فلأن أهل الجنة لو علموا بالزوال لكانوا في أشد عقوبة، وأهل النار لو علموا بالفناء لكانوا في أشد راحة، فيصير الثواب عقاباً، والعقاب ثواباً! والله سبحانه وتعالى أعلم.



خاتمة

روى الشيخان البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله ﷺ:

«يُجاءُ بالموتِ يومَ القيامةِ كأنه كبشٌ أملحُ، فيوقفُ بين الجنةِ والنارِ،
فيُقال: يا أهل الجنة، هل تعرفونَ هذا؟»

فيشربونَ وينظرونَ ويقولون: نعم، هذا الموت!

ويُقال: يا أهل النار، هل تعرفونَ هذا؟

فيشربونَ وينظرونَ ويقولون: نعم، هذا الموت!

فيؤمرُ به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنةِ خلودٌ ولا موتَ فيها، ويا أهلَ
النارِ خلودٌ ولا موتَ فيها!

ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾ (١)، وأشار بيده إلى الدنيا (٢).

(١) سورة مريم: الآية ٣٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة مريم ٥/٢٣٦ - ٢٣٧، صحيح
مسلم، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء =

وفي لفظ البخاري: «وهم في غفلة»: وهؤلاء في غفلة — أهل الدنيا — وهم لا يؤمنون^(١).

قوله: «فيشربون» بفتح أوله، وسكون المعجمة، وفتح الراء، بعدها تحتيّة مهموزة، ثم موحدة مشدّدة: أي يمدّون أعناقهم ويرفعون رؤوسهم للنظر.

روى الحاكم وصححه وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يؤتى بالموت في هيئة كبشٍ أملح، فيوقف على الصراط فيقال: يا أهل الجنة. فيظلمون خائفين وجلين مخافة أن يخرجوا مما هم فيه. فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. هذا الموت. فيقال: يا أهل النار. فيظلمون مستبشرين فرحين أن يخرجوا مما هم فيه، فيقال: أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. فيؤمر به فيذبح على الصراط، ويقال للفريقين: خلوداً فيما تجدون، لا موت فيها أبداً»^(٢).

= ١٥٢/٨ - ١٥٣. واللفظ لمسلم، وفيه: «فلا موت» في الموضوعين. وأوله عند البخاري: «يؤتى بالموت كهيئة كبش».

(١) في حاشية البخاري نقلاً من العيني: قوله: «وهم في غفلة» فسر بهؤلاء ليشير إليهم بياناً لكونهم أهل الدنيا، إذ الآخرة ليست دار غفلة. ويأتي بعد هذا في (ظ): نسأل الله أن يجعلنا من المؤمنين الآمنين الموقنين، بمئه وكرمه، آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ٨٣/١ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم... وقال في الحديث التالي: وقد اتفق الشيخان على إخراج هذا الحديث بغير هذا اللفظ من حديث الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد. وهو في =

والأحاديث في هذا كثيرة^(١)، وفيما ذكرناه كفاية لمن تدبّر، وتأمل،
واستبصر.

واللّٰهُ أسألُ الوفاةَ على الإسلام، والنظرَ إلى وجهه الكريمِ في دارِ
السلام. آمين^(٢).

* * *

سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة النار ١٤٤٧/٢ رقم ٤٣٢٧ وأوله:
«يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط...». قال الحافظ المنذري:
رواه ابن ماجه بإسناد جيد. الترغيب والترهيب ٥٦٤/٤. وصححه الألباني في
صحيح الجامع الصغير ٧٩٩٩، والذي قبله للترمذي عن أبي سعيد رفعه.
قلت: وينظر لفظ الحديث في المصادر السابقة فإن المؤلف لم ينقله منها، وفيه
اختلاف في بعض الألفاظ.

(١) هنا تنتهي (ظ).

(٢) بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.
تمت مقابلة الأصل المخطوط نسخة (أ) مع النسخة المصنوفة في مجالس، أولها بعد
العصر يوم الأحد ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ، وآخرها خلال استراحات صلاة التراويح ليلة الاثنين ٢٢
رمضان ١٤٢٤هـ، بقراءة الشيخ أحمد بن فارس السلوم أولاً، ثم الشيخ العربي الدائر الفرياطي،
ثم كاتب هذه السطور، على الشيخ المحقق تفاحة الكويت محمد بن ناصر العجمي، مع
التصحيح، والحمد لله. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه خادم العلم

نظام محمد صالح بن عقوبلي

بصحن المسجد الحرام، تجاه الكعبة المشرفة،
زادها الله عزاً وشرفاً، وحماها وأهلها
من كيد الكائدين وحسد الحاسدين
وحقد الحاقدين.
آمين.

الفهارس العامة

- * فهرس الآيات القرآنية .
- * فهرس الأحاديث الشريفة .
- * فهرس الشعر .
- * فهرس الأعلام .
- * فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

الاية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ الْمُفْلِحُونَ ﴾	٥ - ١	البقرة	٢٤
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	٧ - ٦	البقرة	٢٤
﴿ وَرَبِّ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا ﴾	٢١ - ٨	البقرة	٢٤
﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾	٢١	البقرة	٢٦، ٢٥
﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾	٢٢	البقرة	٢٥
﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا ﴾	٢٣	البقرة	٢٨
﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾	٢٤	البقرة	٤٧، ٣٢
﴿ وَيَبْشِرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾	٢٥	البقرة	(موضوع الكتاب)
﴿ يَتَّخِذُهَا سُكُنَىٰ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةِ ﴾	٣٥	البقرة	٤٨
﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾	٨٩	البقرة	٣٤
﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	٢١	آل عمران	٣١
﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	١٣٣	آل عمران	٤٧
﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾	٥٧	النساء	٧٥
﴿ بَشِّرِ الْمُتَّقِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾	١٣٨	النساء	٣١
﴿ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ ﴾	١٦٥	الأنعام	٤٤
﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	٣٤	التوبة	٣١
﴿ لِيَسْتَوِيَكُمْ فِيكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٧	هود	٣٩
﴿ فَأَتُوا بِمِثْرِ سُنُورٍ وَمِثْلِهِ مِثْرَ يَدَيْكَ ﴾	١٣	هود	٢٨

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ ﴾	١٠٦ - ١٠٧	هود	٧٦
﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾	١٠٧	هود	٧٦
﴿ فَمَالِ لِمَا يُرِيدُ ﴾	١٠٧	هود	٤٤
﴿ كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾	٢	الرعد	٤٤
﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَةٌ ﴾	٤	الرعد	٢٧
﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ ﴾	٧٨	الإسراء	٤٣
﴿ قُلْ لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾	٨٨	الإسراء	٢٨
﴿ يَخْرُجُونَ لِلْذِّقَانِ ﴾	١٠٧	الإسراء	٤٣
﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ ﴾	١١٠	الكهف	٣٨
﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾	٤	مريم	٥٠
﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْمُنْزَةِ ﴾	٣٩	مريم	٧٨
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾	٢٢	الأنبياء	٢٦
﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾	٤٧	الأنبياء	٤٣
﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾	٣٠	الحج	٥٦
﴿ فَاسْأَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ ﴾	٢٧	المؤمنون	٦٤
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ ﴾	١٧	السجدة	٥٥
﴿ وَرَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ ﴾	٢٧	فاطر	٢٧
﴿ احْمُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾	٢٢	الصفات	٦٤
﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾	٤٩	الصفات	٧١
﴿ أَنْهَرِيْنَ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنِ ﴾	١٥	محمد	٥٣، ٥٠
﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾	٧	ق	٦٤
﴿ وَرَمِنَ كُلِّ مَوْجٍ خَلْقًا زَوْجَيْنِ ﴾	٤٩	الذاريات	٦٤
﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾	٣٤	الطور	٢٨
﴿ وَبِهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾	١٥	النجم	٤٨
﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾	٤٦	الرحمن	٥٦

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾	٥٢	الرحمن	٥٦، ٤٦
﴿ كَاتِبِينَ الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ ﴾	٥٨	الرحمن	٧٢
﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴾	٧٠	الرحمن	٧٠
﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾	٧	الواقعة	٦٤
﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾	٢٢	الواقعة	٧١
﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾	٣٣	الواقعة	٦١
﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾	١١	التحریم	٤٨
﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٢	الملك	٣٦
﴿ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴾	٥٠	المدثر	٦٨
﴿ وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ﴾	١٤	الإنسان	٥٨
﴿ وَذَلَّلَتْ فَطَرُوقَهَا نَذِيرَاتٍ ﴾	١٤	الإنسان	٥٨، ٥٦
﴿ لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾	٢٣	النبأ	٧٦
﴿ فَنَبَّهَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴾	٢٤	الانشقاق	٣١
﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾	٥	البينة	٣٨



فهرس الأحاديث الشريفة

الصفحة	الحديث
٤٣	«ابنوا للخراب»
٤٣	«اجمعوا للفناء»
٦٧	«أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم»
٤٤	«إذا رأتم الهلال فصوموا»
٧٨	«أشار بيده إلى الدنيا»
٧١	«ألا نحن الخالدات فلا نموت أبداً»
٥١	«الذي لا خلط معه»
٦٧	«إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم»
٧٢	«إن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق»
٧١	«إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن»
٦٥	«إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر»
٧٢، ٦٦، ٦٥	«إن أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة»
٧٢	«إن الرجل في الجنة ليتكىء سبعين سنة»
٦٦	«إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»
٧٢	«إن عليهن التيجان»
٤٥	«إن عليين تحت العرش»
٥٢	«إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل»
٧٣	«إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها»

- «إن مما يغنين: نحن الخيرات الحسان» ٧١
- «أنا أغنى الشركاء عن الشرك» ٣٩
- «أنا خير الشركاء» ٣٩
- «إنها صافية بنت حيبي» ٦٦
- «أنهار الجنة تتفجر من جبل مسك» ٥٢
- «أنهار الجنة تخرج من تحت تلال مسك» ٥٢
- «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر» ٦٦، ٦٥
- «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر» ٦٥
- «جنات الفردوس أربع» ٤٦
- «جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما» ٤٦
- «حسان الوجوه» ٧٠
- «حور بيض عين ضخام العيون» ٧١
- «خلق الله جنة عدن بيده» ٤٧
- «خيرات الأخلاق» ٧٠
- «الدين النصيحة» ٩
- «صوموا لرؤيته» ٤٤
- «طوبى لمن كنا له وكان لنا» ٧١
- «عليون في السماء السابعة» ٤٥
- «على رسلكما إنها صافية بنت حيبي» ٦٦
- «على كل زوجة سبعون حلة» ٧٣
- «في الجنة بحر للماء وبحر للبن» ٥٢
- «لدوا للموت» ٤٣
- «لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أهدود» ٥١
- «لكل واحد منهم زوجتان» ٦٥
- «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل» ٤٨

- «لو أن امرأة من نساء الجنة» ٧٣
- «ما أنهر الدم» ٥١
- «ما في الجنة أحد إلا له زوجتان» ٦٦
- «ما في الجنة عذب» ٦٦
- «ما فيها عذب» ٦٦
- «ما من صباح يصبحه العباد» ٤٣
- «ما من عبد يسبح تسيحة أو تحميدة» ٦١
- «ملك يباب من أبواب السماء» ٤٣
- «من عمل عملاً أشرك فيه غيري» ٣٩
- «من قال سبحان الله العظيم ويحمده غرست» ٤٨
- «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» ٣٧
- «من يقرض اليوم» ٤٣
- «نحن الخيرات الحسان» ٧١
- «هذه زوجتي فلانة» ٦٥
- «وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل» ٤٧
- «يا أيها الناس لدوا للتراب» ٤٣
- «يا بني آدم لدوا للتراب» ٤٣
- «يا رسول الله أخبرني عن قول الله ﴿وحوور عين﴾» ٧١
- «يا رسول الله أو يطيق ذلك» ٦٧
- «يا رسول الله ما الأذفر» ٥١
- «يا فلان هذه زوجتي فلانة» ٦٦
- «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش» ٧٨
- «يرى مخ ساقها من وراء لحومها» ٦٦
- «يرى مخ سوقهما من وراء اللحم» ٦٦
- «يزوج العبد في الجنة بسبعين زوجة» ٦٧

- ٦٧ «يعطى قوة مائة»
- ٦٧ «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا»
- ٧١ «يقلن: ألا نحن الخالدات فلا نموت»
- ٣٩ «يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك»
- ٧٢ «ينظر إلى وجهه في خدها أصفى»
- ٧٩ «يؤتى بالموت كهيئة كبش»
- ٨٠ «يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط»



فهرس الشعر

الصفحة

البيت

٦٥	أن ليس وصلٌ إذا انحلت عرى الذنب	يا صاح بلِّغ ذوي الزوجات كلهم
٤٢	إلي ولا دين بها أنا طالبه	وما زرت ليلي أن تكون حبيبة
٤٤	لطول اجتماع لم نبت ليلة معا	فلما تفارقنا كأني ومالكاً
٢٦	بؤس الطيب وطيب عيش الأحمق	ومن الدليل على القضاء وكونه
٤٤	له راحة ما عشت حتى تفارقه	وإن قرين السوء لست بواجد
٣٤	من خير أديان البرية ديننا	ولقد علمت بأن دين محمد



فهرس الأعلام

- آدم (عليه السلام): ٤٩
 إبراهيم بن السري الزجاج: ٦٨ ، ٤٥
 أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة: ٣٥ ، ٥٥ ، ٣٩
 أحمد بن فارس الرازي: ٣١
 أحمد بن محمد النحاس، أبو جعفر: (٥٩)
 الأخفش = هارون بن موسى.
 الأخفش الأوسط = سعيد بن مسعدة.
 ابن أبي أسامة = الحارث.
 إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: ٦٢
 الأشجعي = عبيد الله بن عبد الرحمن.
 الأشعري = عبد الله بن قيس، أبو موسى.
 الأصمعي = عبد الملك بن قريب.
 أنس بن مالك: ٤٧ ، ٥١ ، ٦٧
 الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو.
 البراء بن عازب: ٤٥ ، ٥٧
 أبو البقاء = عبد الله بن الحسين العكبري.
 البلوطي = منذر بن سعيد.
 التستري = سهل بن عبد الله.
 ابن تیمیة = أحمد بن عبد الحلیم.
 جبرائيل (عليه السلام): ٤٨
 ابن الجراح = علي بن عبد الرحمن.
 ابن جريج = عبد الملك بن عبد العزيز.
 أبو جعفر = أحمد بن محمد النحاس.
 الحارث بن أبي أسامة: ٥٢
 ابن حزم = علي بن أحمد.
 الحسن بن يسار البصري: ٤٠ ، ٥٩ ، ٦٣
 الحسين بن الحسن الحلیمي: (٤٦)
 أبو الحكم = منذر بن سعيد البلوطي.
 الحلیمي = الحسن بن الحسن.
 أبو حنيفة = النعمان بن ثابت.
 حواء: ٤٩
 أبو حيان = محمد بن يوسف.
 الخازن = علي بن محمد.
 الخدري = سعد بن مالك، أبو سعيد.
 ابن الخطيب: ٣٥ ، ٧٥

أبو طالب = عبد مناف بن عبد
المطلب .

ابن عادل = عمر بن علي

أبو العالية = ربيع بن مهران .

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ٤٦ ،
٦٠ ، ٦٣

عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، أبو
هريرة : ٥٢ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٧٩

عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي : ٧١

عبد القادر بن مصطفى الصفوري : ٧

عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء
العكبري : (٣٢)

عبد الله بن عباس : ٤٥ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٠

٧٣

عبد الله بن عمر : ٧١

عبد الله بن قيس الأشعري ، أبو موسى :
٤٦

عبد الله بن مسعود : ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٨ ،
٧١ ، ٧٣

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج :
(٦٣)

عبد الملك بن قريب الأصبغي : ٦٥

عبد مناف بن عبد المطلب ، أبو طالب :
٣٤ ، ٣٥

عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي :
(٦٣)

الخليل بن أحمد الفراهيدي : ٤٢

الربيع بن أنس : ٦٢

ربيع بن مهران الرياحي ، أبو العالية :
(٦٢)

الزجاج = إبراهيم بن السري .

الزمخشري = محمود بن عمر .

أبو زيد : ٦٣

ابن زيد = عبد الرحمن .

زيد بن علي : ٦٨

السدي = إسماعيل بن عبد الرحمن .

سعد بن مالك الخدري ، أبو سعيد :
٦٧ ، ٧٢ ، ٧٨

أبو السعود = محمود بن محمد
العمادي .

سعيد بن جبير : (٤٠)

أبو سعيد = سعد بن مالك الخدري .

سعيد بن عامر بن حذيم : ٧٣

سعيد بن مسعدة ، أبو الحسن ، الأخفش
الأوسط : (٥٤)

سلمان الفارسي : ٥٧

أم سلمة = هند بنت سهيل .

سهل بن عبد الله التستري : (٤١)

سيبويه = عمرو بن عثمان .

الشافعي = محمد بن إدريس .

الصفوري = عبد القادر بن مصطفى .

صفية بنت حيي (أم المؤمنين) : ٦٥

الضحاك بن مزاحم البلخي : ٥٩ ، (٦٢)

ابن قيم الجوزية = محمد بن أبي بكر.
الكاتب = علي بن عبد الرحمن بن الجراح.

ابن أبي كثير = يحيى بن صالح.
الكسائي = علي بن حمزة.

كعب بن مالك: ٥٢، ٥٣
مجاهد بن جبر المكي: ٥٧، ٥٨،
٦٠، ٦٣، ٧٣

محمد بن أحمد القرطبي: ٤٥
محمد بن إدريس الشافعي: ٢٦
محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية:
٤٩

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي
ﷺ: ٢٨، ٣٨، ٧٨
محمد بن كعب القرظي: ٦٣

محمد بن محمد العمادي، أبو السعود:
(٣٣)، ٣٦
محمد بن محمد الغزالي: ٢٢

محمد بن الهذيل العلاف، أبو الهذيل:
(٧٥)
محمد بن يوسف النحوي، أبو حيان:
٣٢

محمود بن عمرو الزمخشري: ٣١،
٣٢، ٣٣، ٤٩، ٥٥، ٥٦، ٦٢
معاذ بن جبل: ٤٠

معاوية بن جندب: ٥٢
معمر بن مثنى، أبو عبيدة: (٦١)

أبو عبيدة = معمر بن مثنى.
عثمان بن عفان: ٣٨

العكبري = عبد الله بن الحسين، أبو
البقاء.

العلاف = محمد بن الهذيل، أبو
الهذيل.

علي بن أحمد بن حزم: ٥٣
علي بن أحمد الواحدي: ٣١

علي بن حمزة الكسائي: ٤٢
علي بن أبي طالب: ٢٢، ٤٠

علي بن عبد الرحمن بن الجراح
الكلبي: (٦٥)

علي بن محمد الخازن، علاء الدين:
٣١

العمادي = محمد بن محمد، أبو
السعود.

عمر بن الخطاب: ٣٩

محمد بن علي بن عادل: (٤٧)، ٥٦
عمرو بن عثمان، سيبويه: ٤٢، ٤٤

الغزالي = محمد بن محمد.
ابن فارس = أحمد.

الفراء = يحيى بن زياد.

الفراهيدي = الخليل بن أحمد.
الفضيل بن عياض: (٣٩)

قتادة بن دعامة السدوسي: ٦٣
القرطبي = محمد أن أحمد.

القطان = يحيى بن سعيد.

أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر
الدوسي .

هند بنت سهيل، أم سلمة: ٧١
الواحدي = علي بن أحمد .

يحيى بن زياد الفراء: ٤٢ ، ٤٥ ، ٦٤

يحيى بن سعيد القطان: ٦٣

يحيى بن شرف النووي: ٣٧

يحيى بن صالح بن أبي كثير:
(٦١)

يعقوب بن إبراهيم، أبو يوسف: ٥٩

أبو يوسف = يعقوب بن إبراهيم .

مقاتل بن حيان: ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢

مكي: ٧٤

منذر بن سعيد البلوطي، أبو الحكم:
(٤٨)

أبو موسى = عبد الله بن قيس الأشعري .

النحاس = أحمد بن محمد، أبو جعفر .

النعمان بن ثابت، أبو حنيفة: ٥٩

النوي = يحيى بن شرف .

هارون بن موسى الأخفش الدمشقي:

(٤٤ ، ٦٢)

أبو الهذيل = محمد بن الهذيل العلاف .



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة التحقيق
١٣	صور المخطوطات
١٩	الكلمات البينات
٢١	مقدمة المؤلف
٢٤	مقدمة في مناسبة الآية لما قبلها
٢٩	﴿ وَبَشِّرِ ﴾
٣٤	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
٣٥	﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾
٤٢	﴿ أَنْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ﴾
٥٠	﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾
٥٢	﴿ كَمَا زُرْتُمُوهَا مِنْ تَحْتِهَا مِنْ نَهْرٍ زُرْقًا ﴾
٥٩	﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾
٦٢	﴿ وَأَنْتُمْ فِيهَا مُتَشَبِهَاتٌ ﴾
٦٤	﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ ﴾
٦٨	﴿ مُطَهَّرَةٌ ﴾
٧٤	﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

٧٨ خاتمة
٨٣ الفهارس
٨٥	* فهرس الآيات القرآنية
٨٨	* فهرس الأحاديث الشريفة
٩٢	* فهرس الأشعار
٩٣	* فهرس الأعلام
١٠٢	* فهرس الموضوعات

